أجاثا كريستي

جريمة في قطار بادنغتون

دار النجمة للنشر والتوزيع

جريمة
في قطار بادِنغْتون

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

جريمة
في قطار بادِنغْتون

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

جلست السيدة ماكلودي في مقصورة الدرجة الأولى بالقطار الذاهب من لندن إلى برامتون ثم ملكستر ثم وافرتون حتى ينتهي إلى كادموث، وكان ذلك القطار معروفاً في أوساط السكة الحديدية بقطار الساعة الرابعة وخمسين دقيقة من محطة بادنغتون، أو «قطار بادنغتون» اختصاراً.

كانت السيدة ماكلودي قد فرغت قبل ركوبها القطار من شراء هدايا عيد الميلاد الذي لم تكن تفصلها عنه سوى خمسة أيام، وقد ركبت ذلك القطار في تمام الساعة الرابعة وخمسين دقيقة من يوم العشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر).

كانت السيدة ماكلودي سيدة في منتصف العمر إسكتلندية الأصل متوسطة الجمال، وراحت تنظر إلى أكياس الهدايا بغبطة ورضا، وتستعيد في ذاكرتها أسماء الأعزّاء الذين سوف تقدّم لكل منهم هديته في العيد. ثم تحولت نظراتها الراضية إلى النافذة فرأت القطار المقبِل من الناحية المضادّة يمرّ بسرعة خاطفة، وما هي إلا ثوان قليلة حتى رأت قطاراً يمضي في نفس اتجاه قطارها على خط القضبان الثالث، فابتسمت

لنفسها وهي تتسلّى بما يشبه السباق بين القطارين، فأحياناً تشعر أن قطارها يسبق القطار الآخر قليلاً، ثم إذا بالقطار الآخر يتقدّم فيتساوى معه ثم يسبقه قليلاً كجواد السباق، وفي بعض الأحيان كانت السيدة ماكلودي تشعر أن القطارين واقفان عندما تتساوى السرعة بينهما لحظات طويلة.

وفي إحدى تلك اللحظات التي تساوت خلالها سرعة القطارين رأت السيدة ماكلودي ستائر نافذة في مقصورة الدرجة الأولى ترتفع من شدّة الهواء المندفع فتكشف عن المقصورة المواجهة وعمّا كان يجري بداخلها، فشهقت السيدة ماكلودي وخُيّل إليها أنها في حُلم رهيب. لقد رأت رجلاً واقفاً وظهره إلى نافذة القطار الآخر وقد أمسك بيديه عنق سيدة ترتدي معطفاً من الفراء الفاتح اللون، كلون الخشب، وكان يبذل جهده لخنقها!

وعلى الرغم من أن المنظر كله لم يستغرق غير فترة وجيزة تقلّ عن دقيقة إلا أنه كان كافياً حتى ترى السيدة ماكلودي المرأةَ وهي تُخنَق بين يدَي الرجل فتجحظ عيناها ويتدلى لسانها ثم تسقط على الأرض جثة هامدة.

ثم هدأت سرعة قطارها قليلاً فتقدّم القطار الآخر، ولم يلبث أن اختفى. فمدّت السيدة ماكلودي يدها إلى سلك الإنذار لتجذبه، ولكنها تردّدت حين أدركت أن القطار في طريقه إلى محطّة برامتون وسيصل خلال لحظات، ثم ما جدوى العمل على إيقافه؟ لقد مرّ القطار الذي وقعت فيه الجريمة ولم يَعُد من المستطاع إيقافه، ومن ثَم فإن خير ما تفعله هو إبلاغ مفتّش

التذاكر بالأمر.

حين جاء مفتّش التذاكر طالباً رؤية تذكرتها قالت له بحماسة: لقد رأيت سيدة تموت خنقاً في القطار الذي مرّ بجوارنا منذ قليل... رأيت هذا بنفسي.

فقال مفتّش التذاكر وهو يرمقها بارتياب: ماذا تقولين يا سيدتي؟

- أقول إنني رأيت رجلاً يخنق سيدة في القطار الذي مرّ منذ لحظات.

ازداد الارتياب وضوحاً في نبرات صوت مفتّش التذاكر وهو يقول: يخنقها؟

- نعم، لقد رأيت هذا بعيني، ويجب أن تتّخذ أي إجراء في هذا الشأن.

فتنحنح مفتّش التذاكر وقال: أخشى أن تكوني قد استغرقت بضع لحظات في النوم يا سيدتي و...

- أجل، لقد نمت، ولكن ما رأيته لم يكن حُلماً، بل حقيقة، وأنا أعرف كيف أفرّق بين الحلم والحقيقة.

ولكن مفتّش التذاكر كان يعرف بالتجربة أن سيدات كثيرات يتوهّمن رؤية أشياء كثيرة دون أن يتجاوز الأمر حدود التوهّم. وكأن السيدة ماكلودي أدركت ما يدور في ذهنه فقالت مؤكدة: أقول لك إنني رأيت ما حدث بنفسي حينما كانت نافذة المقصورة في القطار الآخر موازية لنافذتي، وقد دفع الهواء

ستارتها فرأيت وأنا في تمام اليقظة وبكل وضوح رجلاً يخنق سيدة حتى قتلها تماماً.

قال مفتّش التذاكر والشك لا يزال يشوب نظراته: وفي أي اتجاه كان يسير القطار الآخر يا سيدتي؟

فرمقته بنظرة حادة ثم قالت: في نفس اتجاه قطارنا هذا، فلو كان يسير في الاتجاه العكسيّ لما استطعت أن أرى شيئاً، أليس كذلك؟

فلم يسَع مفتّش التذاكر إلا أن يقول: حسناً يا سيدتي، سوف أبلغ الأمر للمسؤولين، وأرجو أن تذكري لي اسمك وعنوانك.

ولكن السيدة ماكلودي لم تطمئنّ إليه بعد أن ذكرت له اسمها وعنوانها، لذلك انتزعت ورقة من مفكرتها وكتبت فيها بضع عبارات عمّا رأت، ثم وقّعت عليها وسجّلت عنوانها وطوتها، وانتظرت حتى توقّف القطار في محطة برامتون بعد لحظات فاستدعت أحد الحمّالين وسلّمته الورقة ومعها قطعة نقدية وطلبت منه أن يسلّم الورقة إلى ناظر المحطّة، ثم جمعت أغراضها وغادرت القطار وهي مشغولة الفكر بما رأت.

لا شك أن الأقدار هي التي جعلتها ترى وقوع تلك الجريمة، فلولا الهواء الذي رفع الستارة عن النافذة ما كان في مقدور أحد أياً كان أن يرى ذلك القاتل وهو يرتكب جريمته.

ونظرت حولها نحو المسافرين الذين هبطوا إلى رصيف

تلك المحطة وتساءلت في نفسها: تُرى هل هبط القاتل أيضاً عندما توقّف القطار الأول في هذه المحطة؟ هل ارتكب جريمته بكل هدوء واختفى بين الهابطين كأيّ مواطن عاديّ لم يرتكب في حياته جريمة؟

ثم هزّت كتفَيها واستدعت سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يمضي بها إلى قرية سانت ماري ميد. وبعد نحو تسعة أميال توقّفت سيارة الأجرة أمام بيت مشيد بالآجُرّ في واحد من طُرق القرية، حيث غادرت السيدة ماكلودي السيارة وهي شديدة الانفعال وأعطت السائق أجره. ثم طرقت باب البيت ففتحت البابَ خادمة في منتصف العمر، وفوراً تقدّمت السيدة ماكلودي إلى ردهة ومنها إلى غرفة جلوس كانت تجلس فيها مضيفتها العجوز الآنسة جين ماربل التي هتفت قائلة بترحيب: إليزابيث؟

- عزيزتي جين.

وبعد أن تبادلتا القبلات قالت إليزابيث ماكلودي بأنفاس لاهثة: جين، لقد رأيت منذ لحظات جريمة قتل.

* * *

الفصل الثاني

رفعت الآنسة ماربل حاجبَيها بهدوء وقالت: أهكذا؟ وكيف حدث ذلك؟

وبعد أن فرغت الآنسة ماكلودي من حديثها عمّا رأت قالت الآنسة ماربل: إن خير ما تفعلينه الآن يا عزيزتي هو الصعود إلى الطابق الأعلى للاغتسال من متاعب السفر، ثم مشاركتي في شرب الشاي، وبعد ذلك نتبادل الحديث في هذا الأمر العجيب.

قالت السيدة ماكلودي بعد أن حملت الخادمة أدوات الشاي بعيداً: جين، هل تعتقدين أنني كنت أحلم أو أتوهّم؟

فقالت جين بحماسة شديدة: لا يا عزيزتي، بالتأكيد لا.

وتنهّدت السيدة جين بارتياح ثم قالت: مفتّش التذاكر له عذره لأنه كثيراً ما يلتقي بأشخاص يتوهّمون أنهم رأوا أشياء لم تحدث.

- أجل، ولكنك تعلمين أنني لست واحدة من هؤلاء

الأشخاص، فأنا منذ طفولتي أتمتّع بذاكرة قوية يا جين، بل أنا لا أزال أتذكر مشاهد من طفولتي حتى اليوم وكأنها حدثت بالأمس.

فأومأت جين ماربل برأسها ثم قالت: لقد كان الرجل مولياً ظهره إليك ولذا لم تتمكني من رؤية وجهه؟

- أجل.

- هل كانت السيدة التي يخنقها شابة أم عجوزاً؟

- أقرب إلى الشباب، بين الثلاثين والخامسة والثلاثين.

- هل كانت جميلة؟

- لا أستطيع أن أجزم لأن وجهها كان محتقناً وملتوي الملامح.

- ألم يكن في مظهر الرجل ما لفت نظرك؟

ففكرت السيدة ماكلودي برهة ثم قالت: بلى، لقد كان أقرب إلى الطول أسمر البشرة أسود الشعر على ما أعتقد، ويرتدي معطفاً ثقيلاً. هذا كل ما أتذكره، وهو قليل طبعاً.

- لا، ليس بالقليل. ولكن هل أنت واثقة تماماً من أن السيدة قد ماتت؟

- بكل تأكيد؛ فقد كان لسانها متدلياً. آه، ما أبشع ذلك المنظر!

- حسناً، يكفي هذا الآن. لا شك أننا سنعرف التفصيلات في صباح الغد.

- في صباح الغد؟!

- نعم، في صحف الصباح. لقد ارتكب القاتل جريمته ولا شك أنه ترك الجثة في المقصورة وهبط من القطار، ومن البديهيّ أن أحد عمّال النظافة أو أحد الركاب سوف يكتشف الجثة إن عاجلاً أو آجلاً، ولهذا أعتقد أن أخبار الجريمة ستظهر في صحف الصباح.

ولكن صحف الصباح صدرت دون أن تظهر فيها أية إشارة إلى تلك الجريمة، فقالت السيدة ماكلودي بعد أن فرغت الاثنتان من تناول الإفطار وهبطتا إلى حديقة البيت: ماذا ينبغي أن نفعل يا جين؟

- أرى أن الواجب يحتّم علينا إبلاغ الأمر إلى الرقيب كورنيش رئيس المركز، فهو شرطيّ ذكي وصبور ويعرفني جيداً.

* * *

حين فرغت السيدة ماكلودي من حديثها أمام الرقيب كورنيش نظر الرجل إلى السيدتين بشيء من العَجب ثم قال: هذه قصة عجيبة جداً يا سيدة ماكلودي!

- ولكنها وقعت أمام عيني يا حضرة الرقيب.

- نعم، نعم، أنا لا أجادل في ذلك، ولكن... آه،

أتقولين إنك أبلغت الأمر لناظر محطّة برامتون؟

- نعم.

- حسناً جداً. سوف أدوّن أقوالك الآن، ثم نقوم بالتحرّيات اللازمة.

ثم أردف قائلاً لجين ماربل: آنسة ماربل، نحن إذا افترضنا ما حدث فما هي الوسيلة التي تخلّص بها القاتل من الجثة في رأيك؟

- ليس أمامه إلا أحد أمرين، فإما أن يترك الجثة في المقصورة بعد أن يجعلها تبدو في هيئة الجالسة، أو أن يلقي بها من نافذة القطار.

فقال الرقيب: الاحتمال الثاني هو الأرجح، لأنه لو كان قد تركها في القطار لكشف البعض جثتها ونشرت الصحف الخبر في هذا الصباح، ولهذا سوف أرسل فرقة للبحث عن الجثة على جانبَي السكة الحديدية في المنطقة الواقعة قبل محطة برامتون ببضعة أميال.

* * *

مرّ ذلك اليوم، وفي اليوم التالي تسلّمت الآنسة ماربل رسالة قصيرة من الرقيب كورنيش يقول فيها بأن رجال المباحث والشرطة لم يتمكنوا من العثور على الجثة على الرغم من جميع الجهود التي بُذلت، ولهذا فقد بدأ يتشكك في الأمر، أو لعل صديقتها رأت منظراً أوحى إليها بأن جريمة

قتل قد وقعت.

وحين سمعت الآنسة ماكلودي بذلك قالت باستنكار شديد: أيشكك في الأمر؟ حسناً جداً، لم يبقَ إلا أن تتشككي أنت أيضاً يا جين، أليس كذلك؟

فقالت جين: قد يخطئ أي إنسان، حتى أنت يا إليزابيث، ولكنني شخصياً أعتقد أنك رأيت جريمة تقع في ذلك القطار؛ فأنت طويلة النظر وليس من المعقول أن تتوهّمي شيئاً كهذا.

- شكراً يا جين. ولكن ماذا نفعل بعد ذلك؟

- ليس عليك أن تفعلي أكثر مما فعلت؛ فقد أدّيت واجبك من الوجهة القانونية.

ثم استطردت قائلة: ولكن السؤال الذي يلحّ عليّ الآن هو: ماذا حدث على وجه التحديد؟

- لقد قُتلت السيدة.

- أجل، ولكن مَن الذي قتلها ولماذا؟ وماذا حدث للجثة؟ وأين هي الآن؟

- على رجال الشرطة أن يجيبوا عن هذه الأسئلة كلها.

- أجل، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وهذا يعني أن القاتل حادّ الذكاء، ولا شك أنه عرف كيف يدبّر الجريمة تدبيراً ينمّ عن الدهاء الشديد. أنا لا أعتقد أنه قتل

السيدة في لحظة غضب شديد لأنه لو كان فعل هذا ما استطاع أن يخفي الجثة إلى الآن و...

صمتت جين ماربل برهة ثم قالت: إن الجثة موجودة في مكان ما ولا بدّ من العثور عليها، وهذا ما أنوي أن أفعله.

فنهضت السيدة ماكلودي وقالت: إذن سوف أسافر إلى زوجي في سيلان وأنا مطمئنّة النفس إلى أن هذه الجريمة الغامضة بين يديك.

فابتسمت الآنسة ماربل وقالت وهي تسير مع ضيفتها إلى الباب: اطمئنّي يا إليزابيث، وبلّغي تحيّاتي وتمنّياتي الطيبة إلى رودريك ومرغريت وغيان.

بعد انصراف السيدة ماكلودي أسرعت جين ماربل إلى المكتبة العامة فاستعارت خريطة مكبَّرة للمنطقة التي وقعت فيها الجريمة ثم راحت تفحصها بإمعان، ومن أول وهلة لاحظت أن خط السكة الحديدية يدور دورة غير كاملة حول مزرعة وبيت آل كراكنثورب، فقالت لنفسها: أظن أن القاتل أخفى الجثة في مكان ما في تلك المزرعة، ولكن كيف أصل إليها وكيف أقوم بتحرّياتي فيها؟

وفجأة ومضت في ذهنها فكرة طارئة جعلتها تهتف قائلة: لوسي، لوسي العزيزة.

* * *

الفصل الثالث

كان اسم لوسي إيلزبارو معروفاً في أوساط معيّنة. كانت شابة في الثانية والثلاثين من عمرها تخرّجت في كلية العلوم في جامعة أكسفورد، لكنها رفضت أن تعمل بالتدريس لأنها كانت قد وضعت لنفسها هدفاً محدّداً في الحياة، ثم بدأت في تحقيق ذلك الهدف عقب تخرّجها فراحت تعمل مديرة للبيوت بين الأسر الكبيرة المعروفة، ولم تلبث أن ذاع صيتها في أوساط تلك الأسر وأصبح في مقدورهم السفر إلى الخارج لمدّة أسبوعين أو شهر وهم مطمئنّون إلى أن لوسي ترعى بقية أفراد الأسرة رعاية كاملة.

وقد بلغ من إقبال تلك العائلات على لوسي أن أصبحت تختار الأسرة التي تقدّم لها خدماتها وأن تفرض الأجر الذي يناسبها. وكانت ترعى الأطفال وتمرّض العجائز وتطبخ الطعام ولا تأنف من القيام بجميع الأعمال المنزلية على مختلف أنواعها، وكانت تحرص على عدم البقاء بين أفراد أية أسرة أكثر من ثلاثة أسابيع أو أربعة.

وفي ذات يوم تلقّت رسالة من الآنسة جين ماربل

فراحت تقرؤها وتعيد قراءتها بشيء من الدهشة والتساؤل. كانت قد تعرّفت بالآنسة جين ماربل قبل ذلك بعامين حينما استدعتها للقيام على تمريضها لمدّة ثلاثة أسابيع. لقد أرسلت الآنسة ماربل إلى لوسي خطاباً تطلب فيه مقابلتها لتتحدّث معها في أمر على جانب كبير من الأهمية، فزوت لوسي ما بين حاجبَيها برهة. لقد كانت مرتبطة بأعمال تستغرق الشهور الستة التالية، فإذا كانت الآنسة ماربل في حاجة إلى خدماتها فهي لن تستطيع أن تحقّق رغبتها إلا على حساب إجازتها الخاصة التي تأخذها بين الحين والآخر.

ثم اتصلت هاتفياً بالآنسة ماربل وقالت لها إنها لا تستطيع أن تذهب إليها في سانت ماري في ذلك اليوم، ولكنها غير مشغولة في اليوم التالي فيما بين الساعة الثانية والرابعة بعد الظهر ويمكنها أن تلتقي بها في لندن في المكان الذي تحدّده الآنسة ماربل، وهكذا اتفقت المرأتان على مكان اللقاء.

* * *

قالت لوسي بعد أن تبادلت مع الآنسة جين ماربل التحية: أنا مرتبطة بالعمل لمدّة ستة أشهر، ولهذا فأنا قد لا أستطيع...

فقاطعتها جين ماربل بهدوء قائلة: الأمر بسيط جداً يا لوسي، كل ما أريده منك هو البحث عن جثة.

لبرهة خطر للوسي أن الآنسة ماربل مختلّة العقل، ولكنها كانت تعرف أن اختلال العقل هو آخر شيء يمكن

أن يصيب تلك العجوز الهادئة الملامح الحادّة الذكاء، ومن ثم قالت بهدوء: أيّ نوع من الجثث يا آنسة ماربل؟

- جثة امرأة، امرأة قُتلت، أو على الأصحّ خُنقت في قطار.

فرفعت لوسي حاجبيها قليلاً وقالت: هذا شيء غير مألوف! أخبريني بالتفصيلات إذا سمحت.

حين أخبرتها جين ماربل بالقصة كلها قالت لوسي: هذا كله يتوقّف على ما رأت صديقتك... أو ما تخيّلت أنها رأته.

فقالت جين بلهجة تأكيد: السيدة ماكلودي لا تتخيّل أشياء، وهذا ما يجعلني واثقة من وقوع الجريمة على الرغم من اختفاء الجثة.

فهزّت لوسي كتفيها وقالت: حسناً، لنفترض صحة ذلك كله، فما هو دوري أنا؟

- أنا مؤمنة بذكائك وقدرتك، وصحتي لا تساعدني على القيام بالبحث عن الجثة، ولهذا رأيت أن أستعين بك.

- كأنك تريدين منّي أن أقوم بالتحرّيات التي تؤدي إلى اكتشاف الجثة، فهل أفهم من هذا أن رجال الشرطة عجزوا عن ذلك؟

- لا، ولكن رجال الشرطة غير مؤمنين بأن جريمة ما وقعت حتى الآن لأن أحداً لم يُبلّغ عن اختفاء سيدة معيّنة، كما أن أي إنسان لم يرَ الجريمة وهي تقع غير السيدة ماكلودي،

هذا عدا عن اختفاء الجثة.

ثم بسطت أمامها خريطة المنطقة التي أحضرتها معها وأردفت قائلة وهي تشير إلى مكان ما على جانب السكة الحديدية: نظريّتي التي أؤمن بها هي أن القاتل ألقى الجثة في هذا المنحنى المحيط بمزرعة وبيت آل كراكنثورب، كما أعتقد أنه هبط من القطار وذهب إلى المكان الذي سقطت فيه الجثة ثم استغلّ فترة الظلام فتخلّص منها على نحو ما، وأغلب الظن أنه دفنها في تلك المزرعة.

- وماذا تريدين منّي أن أفعل؟

- أريد أن تلتحقي بالعمل في بيت آل كراكنثورب. كل أسرة كبيرة في أشدّ الحاجة إلى مديرة بيت معروفة بكفاءتها مثلك الآن، وأعتقد أنك لن تجدي أية مشقّة في الالتحاق بخدمة تلك الأسرة، أليس كذلك؟

- بلى، أعتقد هذا.

- ولكن ما أعلمه عن السيد كراكنثورب أنه رجل بخيل جداً، ولا شك أنه سيرحّب بخدمتك إذا كان الأجر ضئيلاً، وأنا على استعداد أن أدفع لك الفرق بين...

فقاطعتها لوسي قائلة: المادة لا تهمّ كثيراً في أمر خطير كهذا يا آنسة ماربل.

فقالت الآنسة ماربل: ولكن القيام بهذه المهمّة قد ينطوي على شيء من الخطر.

فردّت لوسي بهدوء قائلة: لا أظن أن الخطر المحتمَل يمكن أن يمنعني من القيام بها.

- هذا هو رأيي، فأنت لا تخشَين الخطر.

فابتسمت لوسي وقالت: أعتقد أنك ترَين أن خطورة هذه المهمّة تغريني بالقيام بها، وهذا صحيح؛ فأنا لم أتعرّض في حياتي إلى مخاطر حقيقية، ولا شك أن كل إنسان يتمنّى في قرارة نفسه لو أنه يواجه بعض الأخطار الحقيقية بين الحين والآخر.

- حديثك هذا جعلني أزداد إيماناً بأنني لم أخطئ في اختيارك للقيام بهذه المهمة يا لوسي.

وبعد برهة صمت قالت لوسي: ماذا تريدين مني أن أفعل على وجه التحديد؟

- أريد أن تبحثي عن أشياء لها دلالتها، كقطعة قماش بجوار السكة الحديدية أو شُجيرة مائلة إلى الأرض بسبب تدحرج الجثة عليها، أشياء من هذا القبيل.

- وماذا بعد ذلك؟

- سأكون قريبة منك، فأنا أقيم على مسافة تسعة أميال من برامتون كما تعلمين، وما عليك إلا أن تتّصلي بي هاتفياً كلما عثرت على شيء أو أن تأتي لزيارتي إذا لزم الأمر.

أومأت لوسي برأسها ثم قالت: كنت أنوي أن أقوم بإجازة لمدّة أسبوعين بعد يومين، ولكن يمكن تأجيل هذه

الإجازة، وسوف أضع نفسي في خدمتك لمدة ثلاثة أسابيع فقط لأنني سأكون مرتبطة بالعمل بعد ذلك.

فقالت جين ماربل: ثلاثة أسابيع مدة كافية جداً، وإذا لم نعثر خلالها على شيء فيمكننا أن ننفض أيدينا من الموضوع كله.

* * *

بعد انصراف الآنسة ماربل اتصلت لوسي هاتفياً بمكتب الخدمة الواقع في منطقة برامتون وطلبت من الرئيسة أن تُلحقها بالعمل لدى أسرة في تلك المنطقة لأن لها عمّة مريضة تقيم فيها وهي تريد أن تتردّد عليها في أثناء قيامها بالعمل لدى تلك الأسرة، فذكرت مديرة المكتب أسماء العائلات التي تحتاج إلى مديرة بيت بصفة عاجلة، فلما ذكرت اسم عائلة كراكنثورب قالت لوسي: هذا ما أريده؛ فهي تقيم في أقرب مكان إلى عمّتي المريضة.

اتصلت مديرة المكتب هاتفياً بالآنسة كراكنثورب ابنة ربّ الأسرة، ثم اتصلت الآنسة كراكنثورب هاتفياً بلوسي أيضاً، وبعد يومين كانت لوسي في طريقها من لندن إلى بيت آل كراكنثورب للعمل لديهم لمدّة ثلاثة أسابيع.

* * *

الفصل الرابع

عبرت لوسي بسيارتها الصغيرة البوّابةَ الحديدية وانطلقت في ممرّ طويل يشقّ حديقة كبيرة محيطة ببيت آل كراكنثورب، أو على الأصحّ بالقصر المشيد على هيئة قلعة صغيرة. وكانت مظاهر الإهمال تبدو بوضوح على الحديقة والممرّ وباب القصر الكبير الذي أخذت لوسي تطرقه بالمقرعة الحديدية الصدئة المعلّقة عليه.

فتحت البابَ خادمةٌ عجوز كانت تمسح يديها في منشفة المطبخ وقالت لها بارتياب: أنت على موعد، أليس كذلك؟ أنت الآنسة... إيلزبارو، هكذا قالت لي الآنسة كراكنثورب.

- نعم.

كان البيت موحشاً شديد البرودة قليل الإضاءة من الداخل. وبعد أن قادتها الخادمة عبر دهليز طويل فتحت باباً على اليمين فإذا بلوسي ترى غرفة جلوس أنيقة نظيفة، ثم قالت الخادمة لها: أرجو الانتظار هنا حتى أعلن للآنسة كراكنثورب عن مقدمك.

بعد لحظات أقبلت إيما كراكنثورب، وكانت في منتصف العمر عسلية العينين جميلة الشكل حزينة السمت ينمّ مظهرها عن الطيبة والحنان، فشعرت لوسي بالميل إليها من النظرة الأولى. قالت إيما وهي تصافحها: الآنسة إيلزبارو، أليس كذلك؟

ثم أردفت قائلة وهي ترمق أناقة لوسي وجمالها: أخشى أن لا يوافقك العمل هنا؛ فنحن لا نريد مديرة بيت وإنما...

فابتسمت لوسي وقالت: خادمة تقوم بجميع الأعمال.

- أجل.

- حسناً، وهذا ما جئت للقيام به.

- البيت كما ترَين كبير ويحتاج إلى مجهود ضخم للعناية به، وماري تأتي إلينا مرّتين في الأسبوع، ولكن هذا لا يكفي.

- اطمئنّي يا آنسة كراكنثورب. لقد جئت لأطبخ وأكنس وأمسح وأصقل الفضيّات وأكوي الملابس والمفروشات، ولكن كل ما أرجوه هو أن أجد مكاناً لسيارتي وبضع ساعات للراحة كل يوم.

فانبسطت أسارير إيما كراكنثورب وقالت: لدينا عدد من مرابط الخيل والمخازن المهمَلة في جوانب المزرعة، فيمكنك أن تضعي سيارتك في إحداها، أما عن الراحة اليومية فيمكنك أن تستمتعي بوقتك من الثانية إلى السادسة مساء كل يوم.

ثم قطبت جبينها وكأنها تريد أن تتذكر شيئاً ثم قالت: لوسي إيلزبارو... لوسي إيلزبارو. لقد سمعت صديقتي الآنسة كنيدي تتحدّث عنك يوماً. هل خدمت أسرة باسم آل كنيدي في نورث ديفون؟

فأومأت لوسي برأسها وقالت: نعم، عندما وضعت السيدة كنيدي ابنها الثالث.

فأشرق وجه إيما وقالت: السيدة كنيدي لا تنسى الأيام الجميلة التي عشتِها معها، وهي لا تزال تلهج بالثناء عليك حتى الآن، ولكنني... ولكنني أعرف أن أجرك مرتفع جداً وأخشى...

فقاطعتها لوسي بهدوء قائلة: أنا لن أساوم فيما ستدفعونه من أجر، فقد اخترت العمل في هذه المنطقة لقربها من بيت عمّتي المريضة التي ليس لها أحد يرعاها غيري.

ثم أردفت قائلة: وسوف أرعاها في ساعات فراغي من العمل طبعاً.

- عظيم جداً! اتفقنا يا آنسة إيلزبارو. وبهذه المناسبة أرجو أن تتحمّلي بعض تصرّفات أبي، فهو رجل عجوز مريض ويميل إلى التقتير بعض الشيء، وفوق هذا كله فهو شديد الاستبداد برأيه.

فابتسمت لوسي وقالت: اطمئنّي من هذه الناحية يا آنسة إيما، أنا معتادة على خدمة العجائز المرضى وذوي الطباع الحادّة.

- لا أدري كيف أعبّر لك عن شكري وسروري بمقدمك، والآن هلمّي لأقدّمك إليه.

ما كادت إيما تتقدّمها إلى غرفة نوم كبيرة خافتة الضوء حتى سمعت لوسي زئير السيد كراكنثورب وهو يقول: أهذه أنت يا إيما؟ هل جاءت الفتاة الجديدة؟ أحضريها هنا كي أراها.

فاحمرّ وجه إيما ونظرت إلى لوسي معتذرة. كان السيد كراكنثورب جالساً في مقعد وثير وبجانبه عصا ذات مقبض فضيّ، وكان ضخم الجسم كبير الرأس جهم الملامح أشيَب الشعر أجشّ الصوت، ثم قال: دعيني أُلقِ عليك نظرة فاحصة أيتها الفتاة.

فلما تقدّمت لوسي بثبات وابتسام قال لها بعد أن شملها بنظرة فاحصة: يحسن أن تفهمي بعض الأشياء الهامة من الآن، إن إقامتنا في قصر كبير كهذا لا تعني أننا أغنياء. لا، نحن لسنا أغنياء، نحن نعيش حياة بسيطة، أتفهمين؟ حياة بسيطة، ومن ثَم عليك أن تقتصدي في كل شيء. لقد شيّد أبي هذا البيت وعاش ومات فيه، وأنا أحب الحياة فيه، وبعد أن أموت فليفعل أبنائي بالتركة ما يشاؤون، ولكنني ما دمت على قيد الحياة فلن أسمح لأحد بأن يتصرّف في شيء، كما أنني لست على استعداد لأن أموت إرضاء لمخلوق. هل تفهمين؟

فقالت لوسي بهدوء: بيتك هو قلعتك.

- أتسخرين منّي؟

– لا، مطلقاً. إن الإنسان يفخر حين يمتلك بيتاً ومزرعة تحيط بهما مدينة كلّها العمران.

– أجل، ولكننا نستمتع بالهدوء والعزلة عن ضجيج المدينة. أنت لا ترَين بيتاً آخر على مدى البصر ولا يصل إلينا ضجيج المدينة إلا مع الريح.

ثم أردف قائلاً لابنته بنفس اللهجة: استدعي ذلك الطبيب الأحمق وقولي له إن دواءه الأخير لم يُفِدني بشيء.

ولما غادرت لوسي وإيما الغرفة قالت لوسي: هل هو مريض منذ مدّة طويلة؟

– منذ سنوات. هذا هو المطبخ.

كان مطبخاً واسعاً مزوّداً بجميع أدوات الطهي العصرية. وبعد أن سألت لوسي عن مواعيد الطعام وفحصت مخزن المُؤن قالت بتفاؤل: والآن أنا على بيّنة من كل شيء، وما عليك إلا أن تتركي إدارة البيت لي وأنت مطمئنّة تماماً.

فتنفّست إيما بارتياح وهي تأوي إلى فراشها في تلك الليلة قائلة لنفسها: إن آل كنيدي على حق، فهي رائعة.

* * *

في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي كانت لوسي قد بدأت عملها في تنظيف وترتيب المنزل بمعونة الخادمة المساعدة السيدة كيدار، وكانت تلك الخادمة العجوز ميّالة إلى الثرثرة، ومن ثَم سَرّها أن تجد الوقت المتّسع لإشباع

هوايتها بعدما أخذت لوسي تقوم بمعظم أعمال البيت. وقد قالت للوسي في أثناء ثرثرتها: إنه عجوز حادّ المزاج، وأنا أشعر بالعطف على الآنسة إيما بسبب تحمّلها غلظته وضيقه، ولكنها ليست ضعيفة الشخصية، فهي تستطيع أن تواجه أية مصاعب، وعندما يأتي إخوتها للزيارة فإنها لا تتردّد في تقديم أشهى الأطعمة إليهم رغم أنف الوالد العجوز.

- إخوتها؟

- نعم، فهُم أسرة كبيرة العدد، وإخوتها هم السيد إدموند، وهو أكبر إخوتها، وقد قُتل في أثناء الحرب. والسيد سدريك الذي يعيش خارج البلاد، وهو رسّام وفنّان وغير متزوج. والسيد هارولد الذي يعيش في لندن، وهو رجل أعمال ناجح ومتزوّج بابنة لورد. والأخ الثالث هو ألفريد، الابن الفاسد في هذه الأسرة، وهو يقوم في لندن بأعمال وصفقات مريبة، وقد كان موظّفاً في وزارة التموين في أثناء الحرب ثم فُصل بسبب سوء سلوكه وكاد ينتهي أمره إلى السجن، ويبدو أن السجن سيكون مصيره في النهاية. وأخيراً السيد بريان زوج شقيقتهم الصغرى أديث التي ماتت منذ خمس سنوات تاركةً ابنها الوحيد ألكسندر، وهو في المدرسة الآن، ولكنه يأتي لقضاء الإجازة المدرسية هنا والآنسة إيما تحبه أشدّ الحب.

سجّلت لوسي تلك المعلومات في ذاكرتها. ثم استغلّت ساعات فراغها المسائية في التجوّل خلال حديقة المطبخ، وكان ذلك أمراً طبيعياً لا يثير الشك. وقد لاحظت أن

الحديقة مزروعة ببعض الخضراوات وأن بيوت النباتات الزجاجية متداعية ومهمَلة وأن الجانب الأكبر من الحديقة مليء بالأعشاب البرية، فلم تَعْجب لوسي حين وجدت أن البستانيّ رجل عجوز أصمّ ويقيم في كوخ بجوار مرابط الخيل القديمة.

وحين خرجت من حديقة المطبخ وجدت نفسها في ممر يتوسّط المزرعة الكبيرة المحيطة بالبيت، وكان الممر يمتدّ إلى نفق تحت شريط السكة الحديدية ثم يفضي إلى طريق ضيّق يقوم جسر السكة الحديدية على جانب منه، والجانب الآخر عبارة عن سور مرتفع لأحد المصانع الكبرى.

سارت لوسي في ذلك الطريق حتى وجدت نفسها على مشارف مدينة برامتون، ثم وقفت في شارع ضيّق متردّدة ونظرت إلى ساعتها، وحين رأت سيدة تخرج من بيت قريب قالت لها: معذرة يا سيدتي، هل يوجد هاتف عمومي في مكان قريب؟

فأشارت السيدة إلى منعطف الطريق وقالت: هناك، في مكتب البريد.

فشكرتها لوسي ومضت إلى مكتب البريد، ثم دخلت مقصورة الهاتف فاتصلت بمنزل الآنسة جين ماربل، فردّت عليها فلورنس الخادمة العجوز بصوت حادّ قائلة: الآنسة ماربل في ساعة الراحة ولا يمكن أن أزعجها الآن. مَن المتحدّث؟

- قولي لها بأنني لوسي إيلزبارو، ولا داعي لإزعاجها

الآن. أخبريها فقط أنني تسلّمت العمل وأن كل شيء على ما يُرام، وسوف أتصل بها عندما يَجِدّ في الأمر جديد.

ثم أعادت السمّاعة إلى مكانها وسارت في طريق العودة إلى بيت آل كراكنثورب.

* * *

الفصل الخامس

في اليوم التالي قالت لوسي لإيما: هل لديك مانع في أن أمارس رياضة الغولف بالكرات المعدنية الصغيرة في المزرعة يا آنسة إيما؟

- لا، مطلقاً. هل تحبّين رياضة الغولف؟

- نعم، وإن كنت غير بارعة فيها، إلا أنني أحبّ مواصلة التدريب لأنها أدعى إلى التسلية من مجرّد التجوال على غير هدى.

همهم السيد كراكنثورب الذي سمع هذا الحديث قائلاً: لا مجال للتجوال خارج المزرعة إلا في بعض الحارات والأزقّة والبيوت الصغيرة الحقيرة. أنا أعرف أن الأهالي ينتظرون موتي لكي يشتروا من الورثة أرض هذا المكان، ولكنني لن أموت إرضاء لأحد.

فراحت إيما تهدّئ من ثائرة أبيها ولكنه استطرد قائلاً: أنا أعرف ماذا يدور في نفوسكم جميعاً، أنتم تنتظرون موتي بفارغ الصبر، أنت وذلك التافه سدريك والماكر هارولد

والأحمق ألفريد... أنا لا أدري لماذا لم يقتلني حتى الآن.

فأسرعت لوسي بمغادرة الغرفة حتى لا تزيد من شعور إيما بالحرج.

* * *

في أصيل ذلك اليوم راحت لوسي تتدرّب على لعبة الغولف، وكان الهدف من ذلك هو البحث عن شيء يدلّ على مكان الجثة المختفية... إذا كانت مختفية حقاً في ذلك المكان أو إذا كانت توجد جثة أصلاً! وكان البحث عن طريق التظاهر بالبحث عن كرات الغولف المفقودة يبدو أمراً طبيعياً لا يثير الشك في نفس أحد.

في أصيل اليوم التالي صعدت إلى جسر السكة الحديدية المواجه لسياج المصنع المرتفع وهي تتظاهر بالبحث عن بعض الكرات، ولم تلبث أن لاحظت شُجيرة شوكية مائلة بقوّة وكأنما سقط فوقها أو تدحرج عليها شيء ثقيل، ولما فحصتها بعناية عثرت على قطعة فراء فاتحة اللون اشتبكت بأشواك الشجيرة، فتناولت مقصّاً من حقيبة الغولف وفصلت نصف قطعة الفراء بعناية ودقّة تاركة النصف الآخر في مكانه. وبينما هي توالي البحث عثرت في أسفل منحدر الجسر على علبة مسحوق من الصدف فدسّتها في جيبها، ثم عادت إلى البيت.

بعد ظهر اليوم التالي استأذنت من إيما للذهاب إلى عمّتها المريضة فقالت لها: اذهبي ولا تتعجّلي في العودة؛

فنحن لن نحتاج إليك اليوم قبل الثامنة مساء.

* * *

في غرفة جلوس الآنسة ماربل قالت لوسي وهي تتراخى على المقعد المواجه لها: يبدو أنك على صواب في استنتاجك يا آنسة ماربل.

ثم قدّمت إليها ما عثرت عليه، فاضطرم وجه جين ماربل بحُمرة خفيفة ثم قالت: إن الإنسان يشعر بالبهجة حين يستنتج شيئاً ثم تثبت صحّته.

ثم أردفت قائلة وهي تمسك بقطعة الفراء الصغيرة بين أصابعها: إليزابيث قالت إن السيدة القتيلة كانت ترتدي معطفاً من الفراء الفاتح اللون، مثل هذه القطعة تماماً، ولا شك أن سقوط الجثة على الجسر أدّى إلى دحرجتها فوق شُجيرة الشوك واشتباك قطعة من المعطف، كما يبدو أن علبة المسحوق قد سقطت من جيب المعطف. أرجو أن لا تكوني قد أخذت قطعة الفراء كلّها من شُجيرة الشوك.

فابتسمت لوسي قائلة: لا يا آنسة ماربل، لقد حرصت على ترك جزء من الفراء في الشّجيرة.

فأومأت جين ماربل قائلة: هذا يؤكد أنني لم أخطئ في اختيارك للقيام بهذه المهمة.

- هل ستقدّمين هذه الأشياء للشرطة يا آنسة ماربل؟

- ليس الآن. الأفضل أن ننتظر حتى نعثر على الجثة.

- ولكن هذا احتمال بعيد يا آنسة ماربل، فالواقع أن القاتل قذف بالجثة إلى الجسر في تلك المنطقة الموحشة، ثم هبط في المحطة وعاد ليتخلص منها أو ليحملها إلى مكان آخر.

- أجل يا عزيزتي لوسي، ولكن تأكدي أنه لم يحملها إلى مكان بعيد. لقد اختار تلك المنطقة بالذّات لبُعدها عن العمران، فلماذا يغامر ويحمل جثة معه إلى منطقة آهلة بالسكان؟

فقالت لوسي: هل معنى هذا أنه دفنها في مكان ما في المزرعة؟

- ربما، ولكن عملية الدفن ليست يسيرة. هل يوجد كلب في المكان؟

- لا.

- حسناً، أكبر الظن أنه أخفاها في مكان ما، ولا شك أن في المزرعة أماكن مهجورة كثيرة مثل المخازن ومرابط الخيل وبيوت النباتات.

فقالت لوسي وهي لا تملك نفسها من الإعجاب بالآنسة ماربل: أجل، توجد أماكن كثيرة من هذا النوع.

- إذن عليك بالبحث عن الجثة في واحدة منها يا عزيزتي. أنا متأكدة من أن القاتل أحكم تدبير جريمته واختار ذلك المكان عن عَمْد.

في تلك اللحظة أقبلت الخادمة بالشاي، فقالت الآنسة ماربل: يحسن أن نترك الحديث عن الجريمة والمجرمين الآن.

قالت لوسي بعد أن فرغت من تناول الشاي مع جين ماربل: سوف أعود إلى البيت الآن يا آنسة ماربل، وكما سبق أن قلت لك: لا يقيم في ذلك البيت غير السيد كراكنثورب العجوز وابنته إيما، وهي آنسة في منتصف العمر، وبستانيّ عجوز أصمّ، وخادمة تأتي في الصباح وتمضي في المساء.

- حسناً يا عزيزتي لوسي، أنا واثقة من نجاحك في هذه المهمّة؛ فأنت بارعة حادة الذكاء.

- ولكن ليست لي أية خبرة سابقة في البحث عن الجثث.

- الأمر لا يحتاج إلى خبرة بقدر ما يحتاج إلى قوّة ملاحظة وقُدرة على التفكير المنطقي.

* * *

الفصل السادس

في أصيل اليوم التالي بدأت لوسي في تنفيذ تلك المهمة بكل حماسة، فراحت تبحث وتنقّب في بيوت النباتات المهجورة والمخازن والمرابط وكل مكان في المزرعة يمكن أن يصلح مخبأ لجثة، وذلك بتكتّم شديد.

وفي أثناء بحثها التقت بالبستاني العجوز الذي كان يفضّل الثرثرة على العمل أيضاً، وقد قال لها في أثناء ثرثرته: ذلك السيد العجوز، السيد كراكنثورب، رجل غريب الأطوار. لقد جمع والده تلك الثروة الكبيرة من صناعة الحلوى والفطائر ثم ترك ذلك كله لابنه الوحيد، وهو ذلك العجوز، وكان يميل إلى الأسفار وجمع الآثار العجيبة الدميمة وإنفاق مبالغ طائلة على هذه الهواية في شبابه، ولهذا سجّل والده في وصيّته أن لا يتصرف ابنه -ذلك العجوز الشرس- في الثروة، ولكن من حق أبنائه أن يتصرّفوا فيها كما يشاؤون.

استوعبت لوسي تلك المعلومات ثم قالت: ومتى مات كراكنثورب الكبير؟

- قبل الحرب بعشرة أعوام، وبعدها جاء ذلك العجوز فعاش هنا، ثم تحوّل إلى إنسان بخيل حريص على كل درهم من دخل الثروة.

* * *

حين عادت لوسي إلى البيت وجدت إيما واقفة في الردهة تقرأ رسالة وصلت مع بريد ما بعد الظهر. وقالت إيما حين رأت لوسي: إنه ألكسندر، ابن أختي المتوفاة أديث. سوف يحضر غداً مع زميل له في المدرسة اسمه جيمس وست، ولهذا سنعدّ لهما الغرفتين المتجاورتين فوق الشرفة الأمامية.

- حسناً يا آنسة إيما، سوف أذهب لإعداد الغرفتين حالاً.

قالت إيما بعد تردّد: سوف يصلان قُبيل الظهر، ولا شك أنهما سيأتيان جائعَين كأي ولدين في مثل سنّهما.

فابتسمت لوسي قائلة: هذا مؤكد يا آنسة إيما. سأعدّ لهما غداً طبقاً من اللحم و... ما رأيك في فطيرة التفاح؟

- إن ألكسندر يحبها كثيراً.

* * *

وصل الولدان في الموعد المحدد. كان ألكسندر طويل القامة أشقر أزرق العينين، أما جيمس وست فكان قصيراً أسمر اللون أسود العينين يضع على عينيه نظارة، ولكنّ الاثنين كانا

في مستوى واحد من حُسن الأدب ورقّة الطباع والميل إلى المرح.

حين رآهما العجوز كراكنثورب وهما يلتهمان الطعام بشهية عارمة قال مزمجراً: أخشى لو مكثتما أسبوعاً أن تأكلا كل شيء في هذا البيت!

فقال ألكسندر وهو ينظر إليه بعتاب: يمكننا أن نعيش على الخبز والجبن إذا شئت يا جدّي، أو إذا كانت مواردك لا تسمح بتقديم اللحم...

فصاح قائلاً: مواردي؟ إن مواردي تسمح بكل شيء، ولكنني لا أحبّ الإسراف.

- نحن لا نُسرف في شيء يا جدّي، والدليل على هذا أننا لم نترك وراءنا أي كمّية من الطعام لتُلقى في وعاء القمامة.

- ولكنكما تأكلان ضِعف ما آكله أنا.

- لأننا في مرحة النموّ وأجسامنا في أشدّ الحاجة إلى قدر كبير من البروتين يا جدي.

غمغم العجوز بكلمات غامضة تنمّ عن الاستياء وعدم الاقتناع. ثم سمعت لوسي ألكسندر يقول لصديقه بعد أن غادرا غرفة الطعام: لا عليك من جدّي، إنه بخيل جداً ولعله يعاني من عقدة نفسية!

فابتسم جيمس وست وقال: إن لي عمّة أشدّ بُخلاً منه.

يبدو أن بعض الناس يصبحون بخلاء عندما يكبرون.

* * *

بعد أن فرغت لوسي من عملها عقب تناول الغداء مضت إلى الحديقة لتوالي تحرّياتها وأبحاثها متظاهرة بالتدريب على لعبة الغولف، وبينما هي تفتّش عن إحدى الكرات وراء دغل شوكيّ فوجئت بألكسندر إيستلي يقول لها: هل تبحثين عن شيء يا آنسة لوسي؟ أتسمحين لي بمساعدتك؟

- آه! أنا أبحث عن إحدى كرات الغولف. شكراً.

وقال جيمس وست: أتحبين رياضة الغولف إلى حدّ كبير يا آنسة لوسي؟

- نعم، ولكن وقتي لا يسمح بالتدريب عليها كثيراً.

- لا شك في هذا؛ فأنت تطبخين الطعام هنا، أليس كذلك؟

- بلى، أنا أطبخ الطعام.

- وأنت التي طهوت طعام الغداء اليوم، أليس كذلك؟

- بلى.

- إذن اسمحي لي أن أهنّئك على براعتك يا آنسة لوسي.

وقال ألكسندر: أنا لم أذُق طعاماً أشهى مما أكلت اليوم.

فابتسمت لوسي وقالت: ما عليكما إلا أن تخبراني بالأصناف التي تحبّانها وسوف أقدّمها لكما على المائدة.

- شكراً جزيلاً، تأكدي أننا سنفعل رغم أنف جدّي العزيز.

ثم أردف قائلاً: إن لدينا تحت الدرَج لوحة معدنية للعب الغولف على المائدة. ما رأيك يا جيمس لو تسلينا بها؟

أسرع الولدان ومعهما لوسي إلى غرفة صغيرة تحت الدّرَج فبحثا عن اللوحة وأدواتها حتى عثرا عليها، ولكن الصدأ كان يعلو اللوحة وفجواتها فقال ألكسندر: أعتقد أنه يوجد بعض عُلب الطلاء في المخزن الكبير، هلمّ لنأتي بها. أتحبين أن تصحبينا يا آنسة لوسي؟

فقالت لوسي وقد رأت الفرصة سانحة لدخول المخزن الكبير المغلق دائماً: يسرّني هذا، لا سيّما وأنا غير مرتبطة بأي عمل الآن.

وعندما وصلوا إلى الباب الحديديّ للمخزن الكبير قالت لوسي: في أي شيء يُستعمل هذا المخزن؟

فقال ألكسندر: جدّي يحتفظ فيه بقطع الآثار والتماثيل التي اشتراها من الخارج في مرحلة الشباب، وهي إن دلّت على شيء فإنما تدل على فساد ذوقه في هذا المجال.

ثم مدّ يده إلى نتوء صخريّ بجوار الباب فتناول منه مفتاحاً حديدياً كبيراً فتح به الباب وهو يقول: لقد اعتدنا وضع

هذا المفتاح هنا منذ أن كان رجال مقاومة الغارات الجوية يستعملون المخزن للمبيت في أثناء الحرب.

وحين دخلوا المخزن خُيّل إلى لوسي أنها في مُتحف من نوع رديء جداً، فقد كانت رؤوس الأباطرة القُدامى المنحوتة من الصخر ملقاة في أماكن متفرّقة في المخزن، وكانت توجد تماثيل قبيحة الشكل وقطع من الألواح الحجرية وبعض المقاعد والموائد الأثرية وتابوت حجريّ ضخم.

وقد عثر ألكسندر على علب الطلاء ولكنها كانت جافة، فقالت لوسي لهما إنها في حاجة إلى قليل من زيت التربنتين، كما أن ذلك المخزن في حاجة إلى ترتيب وتنظيف، فقال جيمس: يمكننا أن نساعدك في كل شيء إلا في عملية تنظيف هذا المخزن.

وقال ألكسندر: هلمّ يا جيمس، لنركب درّاجتَينا ونذهب إلى المدينة لنشتري علب التربنتين.

ثم نظر إلى لوسي وقال: هل ستبقين هنا فترة أخرى؟

فأومأت برأسها وقالت: ربما، ولكن هل أضع المفتاح في مكانه المعتاد؟

- نعم. طاب يومك، وإلى اللقاء.

انصرف الولدان، فوقفت لوسي أمام التابوت الحجري وهي تشعر بقلبها يدقّ كالمطرقة في صدرها، ثم قالت في نفسها إنها لو كانت القاتلة لما وجدت مكاناً تخفي فيه الجثة

خيراً من ذلك التابوت الحجريّ الضخم.

حاولت أن تزحزح غطاءه الحجريّ فلم تستطع بطبيعة الحال، ونظرت حولها فوقعت نظراتها على عتلة حديديّة قوية، وسرعان ما استعملتها بكل قُواها في رفع غطاء التابوت قليلاً جداً، ولما اختلست النظر إلى ما في داخله ألقت الغطاء إلى مكانه وانطلقت تعدو بعد أن أغلقت باب المخزن الكبير وأعادت المفتاح إلى موضعه.

* * *

الفصل السابع

انطلقت لوسي فأخرجت سيارتها وأسرعت بها إلى مكتب البريد، ثم دخلت مقصورة الهاتف واتصلت بمنزل الآنسة ماربل، فلما سمعت صوت الخادمة العجوز الحادّ قالت لها: أريد التحدّث إلى الآنسة ماربل.

- إنها في ساعة الراحة ولا يمكن إزعاجها. هل أنت الآنسة لوسي إيلزبارو؟

- نعم.

- أنا لا أستطيع أن أزعجها الآن؛ فهي سيدة عجوز ويجب أن تنال نصيبها كاملاً من الراحة.

- ولكن الأمر مهم جداً.

- أنا لا...

فقالت لوسي بلهجة آمرة: أرجو أن تفعلي ما طلبته منك.

وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت جين ماربل

على الهاتف وهي تقول: ماذا وراءك يا عزيزتي لوسي؟

- لقد عثرت عليها.

- على الجثة؟

- نعم. إنها جثة امرأة ترتدي معطفاً من الفراء الفاتح اللون، وهي في تابوت حجريّ في مخزن فيه مجموعة من الآثار. ماذا تريدين منّي أن أفعل بعد ذلك؟

- أبلغي الشرطة فوراً.

- وماذا أقول لهم عنك؟ وبمَ أجيب حين يسألونني عن السبب الذي دفع بي إلى النظر داخل تابوت حجريّ كهذا؟ هل أخترع سبباً؟ أنا لا أستطيع أن أفعل هذا.

- لا، لا يا عزيزتي لوسي، اذكري الحقيقة كاملة.

- وماذا عنك؟

- قولي كل شيء.

- هذا أمر بسيط، ولكنني أخشى أن لا يصدّقوني!

* * *

بعد لحظات كانت تتّصل هاتفياً بمركز الشرطة وتقول للضابط: أنا لوسي إيلزبارو، أعمل مديرة بيت في قصر آل كراكنثورب، وقد عثرت على جثة امرأة في تابوت حجريّ في المخزن الكبير.

- ماذا تقولين؟!

فلما كرّرت عليه القول قال: حسناً، سوف نُسرع بالحضور.

ثم عادت لوسي إلى البيت ووقفت في الردهة الداخلية تفكر فيما ينبغي أن تفعله بعد ذلك، وأخيراً ذهبت إلى إيما التي كانت في غرفة أبيها فقالت لها: أريد أن أتحدّث معك على انفراد يا آنسة إيما؟

فقال العجوز: تحدّثي الآن. ماذا تريدين؟

- أفضّل أن أتحدّث على انفراد مع الآنسة إيما يا سيدي.

فخامر إيما إحساس بالخوف؛ فقد اعتادت أن تسمع هذه العبارة من كل خادمة تنوي ترك الخدمة بالبيت، ومن ثَم قالت حين خرجت مع لوسي إلى الردهة: ماذا حدث يا لوسي؟ هل أساء أحدٌ إليك أم أن العمل ازداد عليك بعد وصول الولدين؟

- لا هذا ولا ذاك. لقد طلبت الحديث معك على انفراد لأن والدك مريض وقد تصدمه هذه الأنباء. لقد اكتشفت جثة امرأة مقتولة في التابوت الحجريّ في المخزن الكبير.

حملقت إيما كراكنثورب إلى وجهها وقالت: جثة امرأة مقتولة في التابوت الحجريّ؟! هذا مستحيل!

- أخشى أن تكون هذه هي الحقيقة. لقد اتّصلت برجال

الشرطة وهم في طريقهم إلى هنا الآن.

اضطرم وجه إيما قليلاً ثم قالت بلهجة عتاب: كان ينبغي أن تخبريني أولاً... أعني قبل إبلاغ الأمر لرجال الشرطة.

- أنا آسفة.

ثم نظرت إيما إلى الهاتف الموضوع في الردهة وقالت: ولكنني لم أسمعك تتحدثين في الهاتف.

- لقد اتصلت بهم من الهاتف العمومي في مكتب البريد.

- عجباً! ولمَ لم تتصلي بهم من هنا؟!

- خشيت أن... أن يسمعني السيد كراكنثورب.

- نعم. حسناً، يبدو أن رجال الشرطة قد وصلوا؛ فأنا أسمع زئير سياراتهم المسرعة.

* * *

الفصل الثامن

قال المفتش باكون وهو يضع يده تحت ذراع إيما ويخرج بها من المخزن الكبير بعد أن ألقت نظرة على الجثة: أنا آسف لاضطراري إلى اتخاذ هذا الإجراء يا آنسة إيما.

وقد بدت إيما شاحبة الوجه متهالكة الأعصاب بعد أن رأت الحالة التي كانت عليها الجثة، ثم قالت بصوت مرتعش: أنا واثقة تماماً أنني لم أرَ تلك المرأة من قبل.

- شكراً لك يا آنسة إيما، هذا كل ما نريد أن نعرفه منك. يمكنك أن تستريحي الآن.

- لا، أريد أن أذهب إلى أبي؛ فقد استدعيت له الدكتور كويمبر بمجرّد أن سمعت بما حدث، وهو معه الآن ويجب أن أذهب لأطمئنّ عليه.

ولكن الدكتور كويمبر التقى بها وبالمفتش في الردهة بعد أن غادر غرفة الشيخ المريض، فقال المفتش وهو يومئ بالتحية للطبيب: لقد قامت الآنسة إيما بواجبها على أحسن وجه يا دكتور، أليس كذلك؟

فقال الدكتور كويمبر: بالطبع، فهي تتمتّع بمقدرة وذكاء يثيران الإعجاب يا سيدي المفتش. اطمئنّي على والدك يا آنسة إيما؛ فهو بخير وصحته على خير ما يُرام، وإن كان لا يزال متوهّماً أنه مريض كعادته. ادخلي وتحدثي معه ثم عودي إلى غرفتك للراحة وتناول بعض الشراب المنعش.

فابتسمت إيما ثم دخلت غرفة أبيها، فقال الطبيب وهو يتبعها بنظراته: إنها فتاة رائعة، تنشر الحب والسلام والأمن في كل مكان حولها، وكم يؤلمني أنها لم تتزوّج بعد. هذه هي مأساة المرأة التي تعيش في أسرة كلها رجال. لقد تزوجت أختها الصغرى وهي في السابعة عشرة، ولكن إيما أجمل منها وأعتقد أنها أصلح ما تكون زوجة وأمّاً.

فقال المفتش: يبدو أنها شديدة التعلق بأبيها.

- لا، ليس الأمر كذلك وإنما هي عطوفة كبيرة القلب فقط، لا تستطيع أن ترى إنساناً يتألم أمامها دون أن تخفّف عنه، وهي ترى أن أباها يحب أن يبدو مريضاً، ومن ثَم تتركه يفعل ما يحلو له وتعامله كأنه مريض فعلاً ما دام هذا يرضيه. كما أنها تعامل إخوتها على هذا النحو، فهي تشجّع سدريك وتوافقه على أنه رسّام ممتاز، وتوهم هارولد أنها لا تستطيع أن تعيش إلا بنصائحه وتوجيهاته لأنه شديد الغرور بإمكانياته العقلية، وتدَع ألفريد يفزعها بصفقاته البارعة حتى تُرضي نزعته إلى المبالغة والتهويل... نعم، إنها امرأة مدهشة وعلى جانب كبير من الذكاء. حسناً، هل تريد مني شيئاً يا سيدي المفتش؟ هل تحبّ أن أُلقي نظرة على الجثة بعد أن فحصها

زميلي الدكتور جونستون الطبيب الشرعي؟ لعلها تكون إحدى مريضاتي.

قال المفتش باكون: نعم، فأنا أريد أن أعرف شخصيتها، وليت السيد كراكنثورب يلقي نظرة عليها أيضاً، ولكنني أخشى أن لا تتحمّل أعصابه هذا المنظر.

فضحك السيد كويمبر وقال ساخراً: إن أعصابه كالفولاذ يا سيد باكون، ولن يغفر لك حرمانه من إلقاء نظرة على الجثة لأن ما حدث هو الشيء المثير الوحيد في حياته خلال السنوات العشرين الأخيرة.

- إذن فحالته ليست سيئة إلى درجة خطيرة، أليس كذلك؟

- بلى. صحيح أنه في الثانية والسبعين ولكن صحّته على أحسن حال على الرغم من أوهامه المرَضية، وهذا هو كل شيء. هلمّ لنلقي نظرة على الجثة، وأحسب أن منظرها لا يسرّ.

- أجل، فالدكتور جونستون يعتقد أن الوفاة حدثت منذ أسبوعين أو ثلاثة.

- إذن لا شك أن الجثة في حالة مزعجة.

حين ألقى كويمبر نظرة على الجثة قال وهو يتأمّل الوجه: أعتقد أنني لم أرَها من قبل، ولكن يبدو أنها كانت جميلة في حياتها. عجباً! كيف أخفيت هنا؟! مَن الذي اكتشفها؟

- الآنسة لوسي إيلزبارو.

- آه! مديرة البيت الحالية؟! ولكن ما الذي دعاها إلى البحث في هذا المخزن؟!

- هذا ما سوف أسألها عنه. والآن ماذا عن السيد كراكنثورب؟

- سوف أستدعيه ليلقي نظرة عليها، وإلا فلن ننجو من ثورته.

* * *

قال العجوز كراكنثورب وهو يسير معتمداً على ذراع الدكتور كويمبر: هذه كارثة، هذه فضيحة... لقد اشتريت هذا التابوت الحجريّ من فلورنسا أو من البندقية، لا أذكر.

فقال الطبيب محذّراً: تمالك أعصابك؛ فمنظر الجثة لا يسرّ يا سيد كراكنثورب.

- أياً كان منظرها فلا بدّ أن أؤدي واجبي كأيّ فرد، أليس كذلك؟

ولكن السيد كراكنثورب لم يستطع البقاء غير لحظة في المخزن الكبير بعد أن ألقى نظرة سريعة على الجثة، ثم قال وهو يهرع مسرعاً إلى الهواء الطلق في الخارج: أنا لم أرَها من قبل. ما معنى هذا؟ هذه فضيحة. لماذا تأتي تلك المرأة إلى مخزني وتترك شخصاً ما يقتلها ويخفيها في التابوت الأثريّ الثمين؟ هذه فضيحة... فضيحة!

ثم أمسك بذراع الطبيب وقال لاهثاً: لقد تعبت؛ فهذا المنظر أزعجني. إن قلبي مضطرب. أين إيما؟

ثم عاد العجوز إلى البيت، وإذا بألكسندر وزميله جيمس يُهرعان إلى المفتش باكون ويقولان له بأنفاس لاهثة: نرجو أن تسمح لنا بإلقاء نظرة على الجثة يا سيدي، فالإنسان لا يرى جثث قتلى كل يوم.

- مَن أنتما؟

- أنا ألكسندر إيستلي، ابن بنت السيد كراكنثورب، وهذا زميلي في المدرسة، جيمس وست. نرجو أن نرى تلك الجثة يا سيدي.

فابتسم باكون وقال لمساعده الرقيب ساندرز: حسناً، خذهما يا ساندرز إلى المخزن، فالإنسان لا يكون ولداً إلا مرّة واحدة في الحياة، ولهذا العمر رغباته ولا بأس من تحقيق بعضها بين الحين والآخر.

فقال ألكسندر: شكراً جزيلاً يا سيدي، أنت طيب القلب حقاً.

ثم قال باكون لنفسه وهو يستدير نحو البيت: والآن سأذهب إلى الآنسة لوسي إيلزبارو.

* * *

كانت لوسي تعلم أن رجال الشرطة لن يتركوها وشأنها بعد أن أبلغتهم عن الجثة التي اكتشفتها في التابوت الحجريّ،

ولهذا لم تُفاجَأ حين طُلب إليها أن تذهب لمقابلة المفتش باكون بعد أن فرغت من إعداد البطاطا للشواء. وعندما ذهبت إليه وجلست أمامه في غرفة الاستقبال أجابت على أسئلته التمهيدية بهدوء، فذكرت اسمها وعنوانها في لندن، ثم أضافت قائلة: وسوف أذكر لك بعض الأسماء والعناوين لشخصيات كبيرة يمكنها أن تزكيني وتشهد لصالحي.

كانت الأسماء لشخصيّات كبيرة حقاً، كاسم قائد كبير في البحرية واسم لورد معروف واسم أحد كبار رجال الدين، وقد ترك هذا كله أثره العميق في نفس المفتش باكون الذي قال في النهاية: والآن يا آنسة لوسي، لقد قلت إنك ذهبت إلى المخزن الكبير للبحث عن علبة طلاء، وبعد ذلك استخدمت قضيباً من الفولاذ لفتح غطاء التابوت الحجريّ، فلماذا فعلت هذا؟

- لأنني كنت أبحث عن جثة.

- كنت تبحثين عن جثة وقد وجدت جثة فعلاً! ألا ترَين أن في هذا ما يدعو إلى العجب والتساؤل؟

- بلى، هذا صحيح، ولكن دعني أشرح لك الأمر بالتفصيل.

- هذا ما أريده منك الآن.

وحين فرغت لوسي من سرد الأحداث التي انتهت بكشف الجثة قال المفتش ملخِّصاً الموضوع: أفهم من هذا أن سيدة عجوزاً كلّفتك بالالتحاق بالعمل في هذا البيت للبحث عن الجثة، أليس كذلك؟

- بلى، الأمر كذلك يا سيدي.

- ومَن تكون تلك السيدة العجوز؟

- إنها الآنسة ماربل المقيمة بشارع ماديسون في بلدة سانت ماري ميد.

دوّن المفتش هذا العنوان ثم قال: وهل تريدين مني أن أصدّق هذا كله؟

- لعلك تصدّق حين ترى الآنسة ماربل وتسمع حديثها في هذا الشأن.

- لا شك أنني سأفعل، ومن المؤكد أنها سيدة مختلّة العقل.

أرادت لوسي أن تقول بأن الإنسان الذي يستنتج شيئاً وتثبت صحّته لا يكون مختل العقل، ولكنها قالت بدلاً من هذا: وماذا ستقول للآنسة إيما كراكنثورب عنّي؟

- لماذا تسألين؟

- لأنني أدّيت واجبي بالنسبة للآنسة ماربل، أي عثرت على الجثة التي أرادت منّي أن أعثر عليها، والآنسة إيما تحتاج إلى معاونتي أشدّ الاحتياج في الوقت الحاضر، لا سيّما عندما يتوافد أفراد الأسرة بسبب ما حدث، هذا عدا عن الولدين اللذين يأكلان بشراهة والعجوز المحتاج إلى الرعاية الدائمة، فلو عرفَت الآنسة إيما أنني لم ألتحق بالعمل معها إلا للعثور على جثة امرأة مقتولة لَما تردّدت في الاستغناء عن خدماتي،

فهل هذا يرضيك؟

رمقها المفتش بحدّة وقال: أنا لن أقول شيئاً لأحد في الوقت الحاضر لأنني لم أتثبّت بعدُ من أقوالك، ومَن يدري؟ فلعل هذا كله من صنع يديك.

فنهضت لوسي وقالت: شكراً. والآن هل تسمح لي بالعودة إلى المطبخ؟

* * *

الفصل التاسع

قال رئيس شرطة برامتون للمفتش باكون: أعتقد أنه من الأفضل أن نخبر سكتلنديارد بالحادث. ألا ترى هذا يا باكون؟

فأومأ باكون برأسه ثم قال: هذا ما يجب، لأنني أعتقد أن المرأة القتيلة ليست من هذه النواحي وأن ملابسها تدل على أنها أجنبية، وإن كنت لم أخبر أحداً بهذا بعدُ حتى نفرغ من جلسة التحقيق.

- لا شك أن جلسة التحقيق ستكون مجرّد إجراء شكلي.

- أجل، وهذا هو رأي المحقّق أيضاً.

- ومتى ستُعقَد الجلسة؟

- غداً. وقد طلبت أن يأتي أفراد أسرة كراكنثورب ليحضروها؛ فلعل أحدهم يستطيع أن يتعرّف على شخصية المرأة القتيلة.

ثم نظر في مفكرته وأردف قائلاً: إن هارولد أحد كبار رجال الأعمال في لندن، أما ألفريد فلا أعرف فيمَ يعمل، أما سدريك فرسّام يعيش خارج البلاد.

فابتسم رئيس الشرطة وقال: لا يوجد ما يدل على أن للأسرة علاقة بالحادث.

- هذا ما يبدو الآن، ولكن مَن يدري؟ إن ما يدهشني في الوقت الحاضر هو هذه القصة التي قِيلت عن ارتكاب الجريمة في القطار.

- لقد زرتَ تلك السيدة المدعوة الآنسة ماربل، أليس كذلك؟

- بلى، زرتها، وقد أكدت لي كل ما ذكرَته لوسي إيلزبارو، ولكنني لا أدري حتى الآن هل هي مختلة العقل أم عبقرية الذكاء.

ففكر رئيس الشرطة برهة ثم قال: يخيّل لي أنني سمعت عن تلك السيدة، جين ماربل، ولكنني لا أذكر متى أو أين. المهم أن هذا الحادث من الحوادث التي توجب الاستعانة برجال سكتلنديارد لكشف غوامضها.

* * *

كانت جلسة التحقيق مجرّد إجراء شكلي فحسب، وقد انتهت دون أن يتعرف أحد على شخصية القتيلة. وبعد أن سمع المحقّق شهادة لوسي وتقرير الطبيب الشرعي بأن الوفاة حدثت

نتيجة الخنق، وبعد أن أدلى أفراد أسرة كراكنثورب بأقوالهم، تم تأجيل التحقيق إلى حين ظهور أدلة أخرى.

وقف أفراد الأسرة خارج المحكمة حيث رأوا عدداً كبيراً من الأهالي الذين توافدوا بعد أن نشرت الصحف المحلية وصحف لندن خبر العثور على جثة امرأة في مزرعتهم، وما كاد أفراد الأسرة يظهرون حتى سرى الهمس بين المتجمّعين خارج المحكمة قائلين: هؤلاء هم.

فقالت إيما بقلق: يجب أن ننصرف بسرعة.

كانت سيارة الأجرة الكبيرة واقفة في انتظارهم أمام باب المحكمة، فدخلتها إيما ولوسي وتبعهما المحامي ويمبورن ثم سدريك وهارولد، أما بريان إيستلي زوج الأخت المتوفاة فقد قال: سوف آخذ ألفريد معي في سيارتي الصغيرة إلى البيت.

فهتفت إيما قائلة: انتظر، لقد نسينا الأولاد.

كان ألكسندر وصديقه جيمس وست قد تسلّلا من البيت ولحقا بأفراد الأسرة في المحكمة، وبعد انتهاء الجلسة خرجا يبتسمان، فلما سمعا حديث إيما قال ألكسندر: اطمئني يا خالتي؛ فمعنا دراجتان.

في أثناء العودة نظر سدريك بإعجاب إلى لوسي ثم قال: لولا هذه الآنسة الشابة لما عرف أحد بأمر تلك الجثة.

قال هارولد: ولكن ما الذي جعلك تبحثين داخل التابوت الحجري يا آنسة إيلزبارو؟

كانت لوسي مستعدّة لمثل هذا السؤال فقالت على الفور: الواقع أنني لا أعرف. لقد رأيت المخزن في حاجة إلى عملية تنظيف وترتيب، وكانت فيه رائحة غريبة أدركت أنها منبعثة من داخل التابوت.

فقال المحامي ويمبورن: أجل، لا شك أنه كانت توجد رائحة؛ فقد قال الطبيب الشرعي بأن الوفاة حدثت منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع.

ثم أخذت لوسي تتأمّل الأخوَين هارولد وسدريك بعد أن خيّم الصمت، فلاحظت أنهما مثل أخيهما الثالث ألفريد، يتميّزان بطول القامة والبشرة الخمرية والشعر الأسود. كان سدريك كبير الحجم ملوّح الوجه بسبب إقامته فترة طويلة في المناطق الاستوائية، وكان مهمل الثياب في حين كان هارولد نموذجاً كاملاً لرجل الأعمال الناجح المهتمّ بأناقته وحسن مظهره.

قال سدريك فجأة: أنا أتساءل، ما الذي دعا تلك المرأة إلى الدخول في ذلك المخزن؟

فقال هارولد: لعلها كانت على موعد مع أحد، كما أن الكثيرين من الأهالي يعرفون أننا نضع المفتاح على نتوء بجانب الباب منذ الحرب الماضية.

* * *

عندما دخل المحامي ويمبورن غرفة الجلوس نظر بدهشة إلى رجل وسيم ذهبيّ الشعر كان جالساً مع المفتش

باكون الذي قال وهو يقدّمه: هذا هو المفتش كرادوك من سكتلنديارد.

- سكتلنديارد؟!

فقال كرادوك بصوت لطيف: لقد طُلب إلينا أن نتدخّل في الأمر، وأنا أعتقد أنك محامي الأسرة يا سيد ويمبورن، ولهذا يجب علينا أن نخبرك بالحقيقة.

لم يكن يوجد أحد مثل كرادوك يمكنه أن يذكر جانباً صغيراً من الحقيقة في حين أنه يوهم المستمع أنه يذكر له الحقيقة كلها. وبعد برهة صمت قال: لدينا ما يجعلنا نعتقد أن المرأة القتيلة ليست من أهالي هذه المنطقة وأنها جاءت إلى هنا من لندن عقب وصولها إلى البلاد من الخارج، ومن المرجَّح أنها وصلت من فرنسا.

فقال ويمبورن: كل ما نرجوه هو أن تتوصّلوا إلى الحقيقة في أسرع وقت لأن الأسرة تشعر بالحرج مما حدث، وإن لم يكن لها أي شأن بهذا كله.

- أجل، أنت على حق في هذا، وتحقيقاً لرغبتك أرى أن ننتهي بسرعة من توجيه بعض الأسئلة إلى أفراد الأسرة.

فأسرع ويمبورن يقول معترضاً: أنا لا أرى أن...

فقاطعه كرادوك قائلاً: لا، لا يا سيدي المحامي، إن سؤالهم إجراء ضروري؛ فنحن نريد أن نعرف لماذا جاءت تلك السيدة إلى المزرعة، ومَن الذي كان معها، وهل سبق

أن كانت لها علاقة بأحد أفراد الأسرة أم لا، وما إلى هذا. أما من ناحيتك يا سيد ويمبورن فنحن نرجو أن تذكر لنا بإيجاز تاريخ هذه الأسرة.

فهزّ ويمبورن كتفَيه وقال ببرود: تاريخها معروف للجميع. لقد جمع عميدها كراكنثورب الكبير ثروته من صناعة الحلوى والفطائر، ثم اشترى هذه المزرعة وشيّد هذا البيت عام ١٩٠٨، وبعد وفاته جاء ابنه لوثر كراكنثورب للإقامة هنا.

- ألم يكن لكراكنثورب الكبير ابن آخر غير لوثر؟

-بلى، كان له ابن يُدعى هنري، ولكنه مات في الحرب العالمية الأولى.

- ألم يفكر السيد لوثر كراكنثورب في بيع المزرعة أو البيت؟

- إنه لا يستطيع فعل ذلك لأن والده ترك وصية نصّ فيها على أن يتمتع بإيراد التركة دون أن يكون له حقّ التصرف فيها، أما بعد وفاته فمن حق أبنائه أن يفعلوا بالتركة ما يشاؤون. وأبناء لوثر كراكنثورب المقيم في البيت هم: إدموند، وقد قُتل في الحرب العالمية الثانية، وسدريك، وهارولد، وألفريد، وإيما، وأديث التي ماتت بعد زواجها ببريان إيستلي تاركة وراءها الابن ألكسندر الذي من حقّه أن يرث نصيب أمه.

فقال كرادوك: هذا عن التركة كلها، ولكن ماذا عن هذا القصر والمزرعة؟

- الوصية تنصّ على أن يؤول القصر والمزرعة إلى أكبر أبناء لوثر، أي إدموند، ولكن بعد وفاة إدموند أصبح سدريك هو المرشّح لوراثة القصر والمزرعة، فضلاً عن نصيبه في باقي التركة.

- وهل كان إدموند متزوجاً عندما قُتل في الحرب؟

- لا.

- إذن فمن المؤكد أن سدريك هو الذي سيرث القصر والمزرعة، أليس كذلك؟

- بلى، سدريك هو الذي سيرث القصر والمزرعة، ولكن ما علاقة هذا كله بمقتل امرأة أجنبية؟

- نحن نريد أن نعرف الحقائق كلها.

- حسناً، أنا لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر من هذا؛ فلا بدّ لي من العودة إلى لندن. هل تريد أن تعرف مني أكثر من هذا؟

تبادل كرادوك النظر مع باكون ثم قال: لا، شكراً.

وعندئذ رنّ الجرس معلناً موعد الغداء فقال كرادوك: سوف نترك الأسرة الآن لتتناول غداءها في أمان ثم نعود إلى العمل بعد الظهر.

* * *

في الردهة الخارجية التقت إيما برجلَي الشرطة والسيد ويمبورن المحامي الذي كان يرتدي قفّازيه استعداداً

للانصراف فقالت له: ألا يمكن أن تبقى حتى تتناول الغداء معنا يا سيد ويمبورن؟

– كنت أتمنّى هذا يا آنسة إيما، ولكن مشاغلي في لندن تحتّم عليّ السفر الآن.

ثم أردف قائلاً: وأحب أن أطمئنك يا آنسة إيما، لقد جاء المفتش كرادوك بصفة خاصة من سكتلنديارد لكشف غموض هذا الحادث، وهو يعتقد أن المرأة القتيلة أجنبية عن البلاد.

فقالت إيما بحدّة: أجنبية؟! أهي فرنسية؟

فوجئ ويمبورن بهذا السؤال، وتبادل المفتش كرادوك النظر مع زميله المفتش باكون وكأنه أراد أن يقول له: لماذا خطر لها على الفور أن المرأة القتيلة فرنسية؟

فقال ويمبورن: حسناً يا آنسة إيما، سوف يعود المفتش كرادوك بعد الغداء ليلقي عليكم بعض الأسئلة البسيطة اللازمة في مثل هذه الظروف.

* * *

الفصل العاشر

عاد مفتّشا الشرطة بعد الغداء، ثم بدأ كرادوك في توجيه الأسئلة إلى سدريك كراكنثورب فقال له متلطّفاً حين استدعاه إلى غرفة الجلوس: لقد علمت أنك وصلت بالطائرة أمس صباحاً من جُزر البليار، فهل أنت مقيم هناك؟

- نعم، منذ ستّ سنوات، وفي جزيرة إيفيزا بالذات لأن جوّها يناسب حالتي الصحية.

- قيل لنا إنك حضرت منذ مدّة قصيرة قبل الآن، أعني في عيد الميلاد، فلماذا جئت مرّة أخرى أمس؟

- لقد أرسلت أختي إيما برقية تطلب منّي الحضور بعد أن كُشفت جثة تلك المرأة المجهولة في ذلك المكان.

- وما رأيك الخاص في هذا الموضوع يا سيد سدريك؟

- لا أعرف، ولكن لماذا جاءت إلى المخزن؟ ولماذا قُتلت؟ كل الأدلة تقول إنها امرأة لم تكن مستقيمة بأي حال.

- هل سمعت بتقرير الطبيب؟

- نعم.

- وهل علمت أن الوفاة حدثت منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع؟

- نعم.

- قلت إنك حضرت لقضاء عطلة عيد الميلاد هنا، فمتى وصلت على وجه التحديد؟

ففكر سدريك برهة ثم قال: لقد ركبت الطائرة يوم السبت السابق لعيد الميلاد، وهذا يعني اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر).

- هل جئت مباشرة من إيفيزا؟

- نعم، ركبت الطائرة في الخامسة صباحاً فوصلت في موعد الغداء.

- ومتى رجعت؟

- في يوم الجمعة التالي، السابع والعشرين.

- شكراً.

فابتسم سدريك وقال: أعتقد أن الوفاة حدثت خلال المدّة التي أمضيتُها هنا في إجازة عيد الميلاد، أليس هذا ما تفكر فيه يا سيدي المفتش؟ حسناً، إن كان هذا رأيك فأنا أحبّ أن أخبرك أن قتل النساء في عيد الميلاد ليس من هواياتي المحبَّبة.

فقال كرادوك بحزم: الأمر أخطر من أن يحتمل المزاح يا سيد سدريك كراكنثورب، يمكنك أن تنصرف الآن.

حين انصرف قال باكون: ما رأيك فيه؟

- إنه رجل عابث كأي فنّان من نوعه، وليس من المستبعَد أن تكون له علاقات بنساء من نوع المرأة القتيلة، ولكن إذا صحّ أنه حضر يوم السبت الحادي والعشرين فلن يكون هو القاتل إذا أخذنا بأقوال السيدة التي رأت وقوع الجريمة في القطار يوم الجمعة العشرين من كانون الأول (ديسمبر)، ولكن من السهل أن نعرف متى حضر فعلاً.

وبعد لحظات أقبل هارولد فقال له كرادوك بعد أن جلس: ما رأيك فيما حدث يا سيد هارولد؟

- هذه مأساة يا سيدي، وأنا لا أدري ماذا أقول أكثر من هذا.

- هل كنت هنا في إجازة عيد الميلاد؟

- نعم، وصلت قبل عيد الميلاد بيوم وبقيت حتى نهاية عطلة الأسبوع.

- حسناً يا سيد هارولد، شكراً، يمكنك أن تنصرف.

وقال كرادوك لألفريد حين جاء دوره: في أي شيء تعمل يا سيد ألفريد؟

- كنت أعمل في شركة تأمين، وفي الوقت الحاضر أقوم

بأعمال مختلفة وأجري بعض الصفقات من أجل الرزق.

- وما رأيك في هذا الموضوع؟

- سمعت أنها جاءت من لندن، فما هو الدليل على هذا؟

فلما صمت كرادوك قال ألفريد باسماً: لعلّكم عثرتم على تذكرة إياب إلى لندن في جيب معطفها، أليس كذلك؟

فقال كرادوك: هل كنت هنا في إجازة عيد الميلاد وبقيت حتى نهاية الأسبوع؟

حين انصرف قال كرادوك: هذا الشاب يعتقد أنه حادّ الذكاء خفيف الظل، ولكن سوف نرى.

* * *

قال بريان إيستلي بعد استدعائه: الواقع أنني غريب عن هذه الأسرة الآن، ولم يعُد يربطني بها إلا ابني.

فقال كرادوك: كنت متزوجاً بأديث كراكنثورب التي تُوُفّيت منذ خمس سنوات، أليس كذلك؟

- بلى، كنت متزوجاً بها.

- ما رأيك فيما حدث؟

- أنا في غاية الدهشة! ولكن هل المرأة القتيلة أجنبية كما يقال حقاً؟

- إذا صحّ هذا فهل لهذه الحقيقة دلالة معيّنة في رأيك؟

- لا، مطلقاً.

- حتى لو كانت فرنسية؟

- فرنسية؟ ولماذا فرنسية بالذات؟

- مجرّد رأي فقط.

- حسناً، أعتقد أن ابني ألكسندر وصديقه جيمس قد يعاوناكما أكثر منّي؛ فهما لا يكفّان عن البحث عن أدلة تفيد التحقيق.

فابتسم كرادوك وقال: أجل. مَن يدري؟ شكراً يا سيد إيستلي.

* * *

حين أقبلت إيما كراكنثورب رمقها كرادوك بعين فاحصة فأدرك أنها شخصية طيبة كبيرة القلب لأول وهلة، ولكن ليست بالسذاجة التي ينمّ عنها مظهرها. ثم قال لها المفتش باكون: أعتقد أننا لن نزعجك بالمزيد من الأسئلة يا آنسة إيما، فحسبك ما أنت فيه من شواغل ومتاعب.

فقالت بصوت عذب: أنا تحت أمركما، وأرجو أن تسألاني فلعلّي أقدم لكما بعض المساعدة.

- شكراً يا آنسة إيما. نحن لم نستطع أن نعرف شيئاً

عن تلك المرأة القتيلة، ولم نجد في جيوبها شيئاً يدل عليها، ولكننا نرجو أن نعرف منك شيئاً يوضّح لنا الطريق بعض الشيء.

فرفعت حاجبَيها قليلاً ثم قالت: أنا أتمنّى هذا، لو كان في مقدوري أن أفعل.

- ألا تعرفين شيئاً في الماضي يمكن أن يكون له علاقة بما حدث، مثل صديقة قديمة تعيش في فرنسا أو شيئاً من هذا القبيل؟

فصمتت إيما برهة ثم قالت: أنا لا أعرف مطلقاً.

- ولكنك عندما سمعت أنها امرأة أجنبية قلت فجأة: "أهي فرنسية؟"، فلماذا خطر لك على الفور أنها فرنسية؟

فابتسمت إيما وقالت: لأن الفرنسيين هنا هم أكبر جالية أجنبية، ونحن نلتقي بهم كل يوم تقريباً حتى أصبحت كلمة «أجنبي» ترتبط بالجنسية الفرنسية.

فقال كرادوك بإعجاب بذكائها: هذا تعليل معقول جداً.

ثم أخرج من جيبه علبة مسحوق من الصّدَف وقال لها: هل يمكن أن تتعرّفي على هذه العلبة؟

- لا، إنها لا تمتّ لي بأي صلة.

- ألم تشاهديها من قبل؟

- لم أرَها قط.

- حسناً يا آنسة إيما، يمكنك أن تنصرفي.

وما كادت إيما تنصرف حتى فُتح الباب فجأة ودخل العجوز لوثر كراكنثورب وهو يقول بحدّة: ما هذا الذي يجري هنا؟ أيكون رجال سكتلنديارد في بيتي ولا أعرف؟ مَن ربّ هذه الأسرة؟ أريد أن أسمع الإجابة على هذا السؤال. نعم، مَن السيد في هذا البيت؟

فقال كرادوك بلهجة لطيفة وهو ينهض لاستقباله: أنت السيد كراكنثورب طبعاً، ولكننا فهمنا أنك أخبرت المفتش باكون بكل ما تعرف، كما أننا نعلم أن حالتك الصحية لا تسمح، أعني أن الدكتور كويمبر قال لنا إنك...

- أجل، الدكتور كويمبر يصنع من الحبّة قُبّة، وأنا لا أنسى ما فعله بي يوم شعرت باضطراب في الجهاز الهضميّ يوم الاحتفال بعيد الميلاد. لقد كان مجرّد اضطراب معديّ عادي بسبب الإسراف في الأكل، ومع ذلك راح يسأل: متى أكلت، وأين، ومن الذي طبخ الطعام، ومن الذي قدّمه...؟ ولكنني في حالة تسمح لي بالإجابة على أية أسئلة، فماذا تريدون أن تعرفوا؟ وما هي النظرية التي انتهيتم إليها في الموضوع؟

- نحن لم ننتهِ إلى نظرية بعدُ يا سيد كراكنثورب، نحن ما زلنا نحاول أن نعرف مَن تكون تلك المرأة.

- سمعت أنها أجنبية.

- نحن نعتقد هذا.

- هل هي جاسوسة؟

- هذا غير محتمَل.

- ولمَ لا؟ إن الجاسوسات يملأن البلاد الآن، وهنّ يسعَينَ وراء الأسرار الصناعية والمخترعات الحديثة.

- حتى في برامتون؟

- المصانع في كل مكان، كما يقع مصنع كبير على مقربة من مزرعتي وراء جسر السكة الحديدية.

فأرسل كرادوك نظرة تساؤل إلى باكون الذي قال: إنه مصنع للعلب المعدنية.

فقال كراكنثورب بإصرار: من أين علمت أنه مصنع للعلب؟ قد يكون مصنعاً ذرّياً في الحقيقة. حسناً، هل تعتقدون أن لها علاقة بأحد أبنائي؟ لو صحّ هذا فلا بد أنه ألفريد لأن هارولد متحفّظ وشديد الحذر، وسدريك يعيش معظم حياته في الخارج، إذن فلا بدّ أنه ألفريد، ولعل شخصاً دمويّ المزاج تبعها إلى المخزن وارتكب جريمته بدافع الغيرة. ما رأيكم في هذه النظرية؟

فقال كرادوك بلباقة: هذه نظرية معقولة لولا أن ألفريد اعترف بأنه لا يعرف تلك المرأة.

فردّ كراكنثورب قائلاً بسخرية: ألفريد جبان، هكذا كان طول عمره، وهو أيضاً كذّاب! ليس بين أبنائي شخص حسن الأخلاق، فكلّهم فاسدون طمّاعون ينتظرون موتي ليستولوا على الثروة، ولكنهم سينتظرون طويلاً، فأنا واثق أنني سأعيش

بعدهم جميعاً.

ثم نهض واستطرد قائلاً وهو في طريقه إلى الانصراف: لقد انتهيت من حديثي وأريد أن أستريح الآن.

قال باكون بعد انصرافه: ألفريد؟ هذا رأي معقول.

فقال كرادوك: ألفريد ليس من الطراز الذي يستطيع أن يقتل امرأة أو أن يكون سبباً في قتل امرأة. حقاً هو على استعداد دائم لمخالفة القانون ولكن في الحدود التي لا تنتهي به إلى حبل المشنقة.

- وماذا عن بريان إيستلي؟

- هذا أيضاً من النوع الهادئ الذي لا يلجأ إلى العنف في حل مشكلاته، وحتى لو أنه هو القاتل فلماذا يخفي الجثة في مكان كهذا؟ إن المزرعة والبيت من أملاك أسرة زوجته وابنه، وهذا ينطبق على الجميع. إن القاتل لا يخفي الجثة في مكان يمتلكه من قريب أو من بعيد عادة.

فأومأ باكون برأسه موافقاً في حين أردف كرادوك قائلاً: سأذهب لأشرب الشاي مع سيدة عجوز أعرفها منذ سنوات.

* * *

الفصل الحادي عشر

قالت الآنسة جين ماربل وهي تشرب الشاي مع المفتش كرادوك الذي جاء لزيارتها: أنا سعيدة لأنك أنت المكلَّف بكشف غموض هذه الجريمة يا سيد كرادوك، وأتمنى أن تنجح في مهمّتك.

- وأنا سعيد لأنني تعرّفت بك يا آنسة ماربل، لا سيّما بعد الذي سمعته عنك من رئيسي السابق السير هنري.

- آه! عزيزي السير هنري، أرجو أن لا يكون قد بالغ في الحديث عني.

فابتسم كرادوك وقال: الواقع أنك تفوّقت على جميع رجال السكة الحديدية ورجال المباحث في برامتون عندما أمكنك أن تستنتجي المكان الذي يُحتمَل أن تكون الجثة فيه، وهي براعة تكاد تبلغ حدّ السحر.

فهزّت جين ماربل رأسها وقالت: لا، لا مطلقاً؛ فقد سبقني إلى هذا مارك توين في قصّته عن الغلام الذي عثر على جواد ضالّ. لقد جعل الغلام يقول لنفسه: "لو كنت جواداً

فأين أمضي؟"، وهكذا استطاع ببساطة أن يعرف أين ذهب الجواد. وأنا فعلت هذا، فقلت لنفسي: لو كنت أنا الفاعلة لجريمة ارتكبتها في القطار في تلك المنطقة فأين أُخفي الجثة؟ هذا هو السؤال الذي أجبت عليه ببساطة.

فقال كرادوك بإعجاب واضح: وهل يمكن بهذه الطريقة البسيطة أن تستنتجي أين القاتل الآن؟

- أتمنى لو أنني أعرف، ولكن المؤكد أن القاتل شخص عاش في بيت آل كراكنثورب أو يعرف مخابئ ذلك البيت والمزرعة على الأقل.

- أجل، ولكن هذا ينطبق على عدد كبير من الناس، فقد كان المخزن الكبير يُستعمل كاستراحة لرجال مقاومة الغارات الجوية في أثناء الحرب، كما أن الكثيرين من أهالي الناحية يعرفون ذلك المخزن الكبير ومحتوياته.

- أجل، وهذا ما يزيد الأمر تعقيداً.

- نحن لن نستطيع أن نتقدّم في تحرّياتنا حتى نعرف مَن هي تلك المرأة القتيلة؟

- وهذه مهمّة عسيرة أيضاً.

- ولكننا سنعرف في أقرب وقت حتماً. لقد عرفنا أنها أجنبية، والأرجح أنها فرنسية، وأنها في نحو الخامسة والثلاثين من العمر وعلى جانب من الجمال، ومتزوجة أو كانت متزوجة، وأنجبت مرّة على الأقل، ومعطفها من النوع

الذي يُباع جاهزاً في المتاجر الإنكليزية.

- وماذا عن علبة المسحوق المصنوعة من الصدف؟

- إنها علبة عادية يوجد آلاف مثلها في كل مكان للأسف، ولكن الشيء الذي بهرني هو ثقتك التامّة في أن الجثة موجودة في مزرعة آل كراكنثورب.

- الواقع أن الفضل يرجع في كشفها إلى الآنسة لوسي إيلزبارو.

فأومأ كرادوك وقال: إنها فتاة حادّة الذكاء وعلى جانب كبير من الكفاءة، مما جعلني أعتقد أنه لا يوجد الرجل الذي يجرؤ على الزواج بها.

فابتسمت جين ماربل وقالت: أجل، ستكون أحسن زوجة، ولكن لا بدّ أن يكون الزوج من طراز خاص ممتاز. تُرى كيف حالها الآن مع آل كراكنثورب؟

- إنهم يعتمدون عليها في كل شيء تقريباً. بالمناسبة، هم لا يعرفون شيئاً عن علاقتها بك.

- لقد انقطعت علاقتي بها بعد أن أدّت مهمّتها.

- إذن هل يمكنها أن تستقيل من خدمة الأسرة في أي وقت؟

- نعم.

- ولكنها لا تزال تعمل لديهم، فلماذا؟

- لم تخبرني بالسبب. إنها فتاة ذكية كما قلت، ولعلها أصبحت شديدة الاهتمام بأمر تلك الأسرة.

- بأمر الأسرة أم بالحادث؟

- مَن يدري؟

وصمتت جين ماربل برهة ثم شردت بذهنها وابتسمت، فسألها كرادوك قائلاً: تُرى فيمَ تفكرين الآن يا آنسة ماربل؟

- أنا أتخيّل وجه صديقتي السيدة ماكلودي حين تعلم أننا عثرنا على الجثة أخيراً.

* * *

في البناء المهدّم الذي كان حظيرة للماشية في مزرعة آل كراكنثورب قال سدريك للوسي حين فاجأها هناك: الواقع أنني لا أستطيع أن أفهمك يا آنسة لوسي.

- لماذا؟

- ماذا تفعلين عندنا؟

- أكسب رزقي.

- كخادمة؟

- لا، وإنما كمديرة بيت محترمة واستجابة لدعوات الكثيرات من ربّات البيوت.

- ليس من المعقول أنك تحبّين كل هذه الأعمال التي

تقومين بها، الطهي والكنس والمسح وغسل الأواني والأطباق و...

- على الإنسان أن يحبّ عمله وإلاّ أصبحت حياته فوضى.

- أنا أعيش في فوضى دائماً يا آنسة لوسي.

- هذا ما يبدو عليك.

- إن كوخي في جزيرة إيفيزا مثال للفوضى أيضاً، ولكنني لا أسمح لأية امرأة بالاقتراب من أي شيء فيه، لوحاتي وألواني وأدواتي و...

- حتى لو كانت هذه المرأة ذات كفاءة ومقدرة في تدبير شؤون البيت؟

- أياً كانت كفاءتها فأنا لن أسمح لها بالعبث بأعمالي الفنية.

فابتسمت لوسي وقالت: كم أتمنّى أن تُتاح لي الفرصة لتنظيف وترتيب كوخك هذا.

- لن تُتاح لك أبداً.

- هذا هو رأيي أيضاً.

حينئذ سقط حجر من جدار متهدّم فقال سدريك: يا للذكريات العزيزة التي كانت لي في هذا المكان!

قالت لوسي: لا أدري لماذا تتركون هذه الأماكن على

حالتها المتداعية هذه، لماذا لا...؟

فقاطعها سدريك قائلاً: لعلك تريدين أن تقومي بترتيبه وتنظيفه أيضاً. مَن يدري؟ فقد تعثرين فيه على جثة أخرى.

- لماذا لا تُعيدون بناء هذه الأماكن المتداعية؟

- أبي هو السبب. ما رأيك فيه؟

- أنا لم أكوّن رأياً عنه بعدُ.

- لا تهربي من الإجابة. إن أبانا رجل بخيل لا يحب إلا نفسه، بل يكرهنا جميعاً ما عدا إيما، ولعل هذا راجع إلى نصّ الوثيقة التي تحرّم عليه التصرّف في الثروة حتى تؤول إلينا كاملة.

فقالت لوسي: هل من الحكمة أن تذكر هذه الحقائق لفتاة غريبة مثلي؟

- لمَ لا؟ هل أنت جاسوسة علينا تعملين مع رجال الشرطة؟

- مَن يدري؟

- لا أعتقد ذلك؛ فقد كنت تعملين هنا ليلاً ونهاراً قبل أن يحضر رجال الشرطة.

وتوقّف عن الحديث فجأة حين رأى أخته إيما مقبلة ثم قال لها: ماذا وراءك يا إيما؟

- أريد أن أتحدّث معك على انفراد يا سدريك.

قالت لوسي بلباقة: يجب أن أعود إلى البيت الآن.

فقال لها سدريك: لا داعي؛ فقد جعلتك الأحداث أحد أفراد الأسرة.

- ولكن لديّ أعمال كثيرة يجب أن أفرغ منها. لقد جئت إلى هنا لأحصل على كمّية من الشعير فقط.

حين انصرفت مسرعة إلى المطبخ قال سدريك وهو يتبعها بنظراته: إنها فتاة جميلة حقاً، ولكن تُرى مَن تكون؟

- نحن نعرف هذا الآن، إنها مختصة في شؤون التدبير المنزلي، ولكن دعنا من أمرها الآن. أنا شديدة القلق يا سدريك؛ فرجال الشرطة يعتقدون أن المرأة القتيلة أجنبية أو على الأصح فرنسية، فهل يمكن أن تكون مارتين؟

حملق سدريك إلى وجه أخته برهة وكأنه لا يفهم شيئاً ثم قال: مارتين؟ مَن تقصدين؟ آه، مارتين؟

- نعم، أتعتقد أنها هي؟

- ما الذي جعلك تفكرين فيها الآن؟

- البرقية التي أرسلَتها كانت غريبة ولا معنى لها، وكان هذا في الوقت الذي وقعت فيه الجريمة، فهل تعتقد أنها جاءت إلى هنا على الرغم من البرقية و...؟

فقاطعها سدريك صائحاً: هراء، لماذا تأتي مارتين إلى هنا؟ ولماذا تدخل المخزن بالذات؟ هذا يبدو غير معقول.

– ألا ترى أن... أن نُبلغ الأمر إلى المفتش كرادوك أو... أو إلى أي شخص آخر؟

– نبلغه بأي شيء؟

– بما نعرفه عن مارتين وعن خطابها الذي أرسلته إلينا.

– لا داعي لأن تزيدي الأمور تعقيداً يا أختاه، فمن الواضح أن ما حدث ليس له علاقة بمارتين هذه، كما أنني لم أصدّق يوماً أنها مارتين الحقيقية.

– ولكنني صدّقت ما جاء في رسالتها.

– هذه طبيعتك دائماً، فأنت تعقدين أي شيء يكون فيه بعض الخير لإنسان ما، ونصيحتي لك أن تكتمي هذا الموضوع، وعلى رجال الشرطة أن يتعرّفوا على الجثة بطريقة ما، ولو سألت هارولد عن ذلك لوافقني على أقوالي هذه.

– أجل، أعتقد أن هذا سيكون رأي هارولد فعلاً، ولكنني شديدة القلق والحيرة يا سدريك ولا أدري ماذا ينبغي أن أفعل.

فقال سدريك على الفور: عليك أن تلتزمي الصمت التام. إن شعاري في الحياة هو أن لا يثير الإنسان لنفسه المتاعب بلا مبرّر.

فتنهّدت إيما بقلق. وبينما هي عائدة إلى البيت قابلت الدكتور كويمبر وهو يغادر البيت في طريقه إلى سيارته، فلما

لمحها قال لها: إن والدك اليوم في حالة طيبة يا آنسة إيما. آه! ماذا بك؟ أرى على وجهك أمارات القلق الشديد.

فنظرت إيما إلى الدكتور كويمبر الذي كان أقرب إلى صديق العائلة منه إلى طبيب ثم قالت: أنا أشعر بالقلق فعلاً، وأريد أن أعرف رأيك.

- ماذا حدث؟

- هل تذكر ما حدّثتك به منذ بضعة شهور عن أخي إدموند؟ أخي الذي قُتل في الحرب؟

- نعم، أتعنين مسألة زواجه أو عزمه على الزواج بفتاة أو شيء من هذا القبيل؟

- نعم. كان قد أرسل إلينا خطاباً يخبرنا فيه أنه عزم على الزواج بفتاة فرنسية، ثم بلغَنا نبأ مقتله بعد ذلك مباشرة. ولم نكن نعرف عن تلك الفتاة شيئاً أكثر من اسمها الأول، مارتين، وكنا نتوقّع أن تكتب إلينا بعد ذلك ولكنها لم تفعل. وأخيراً تسلّمنا رسالة منها منذ شهرين تقريباً، قبل عيد الميلاد بقليل.

- أجل، أذكر أنك قلت شيئاً عن ذلك الخطاب.

- لقد أرسلت تقول إنها وصلت إلى إنكلترا وتريد أن تقوم بزيارتنا، فرددت عليها مرحّبة، ولكنها أرسلت برقية في آخر لحظة تعتذر فيها عن الحضور قائلة إنها مضطرة إلى العودة إلى فرنسا بسرعة.

- حسناً، وماذا في ذلك؟

- رجال الشرطة يعتقدون أن المرأة القتيلة فرنسية، فكيف يكون الحال لو ظهر أنها مارتين؟ ألا يكون موقفنا شديد الحرج إذا لم نذكر الحقيقة عمّا نعرفه عنها؟

- أنت على حق، وأنصحك بإبلاغ المفتش كرادوك بما تعرفينه، وإذا غضب إخوتك منك فسوف أقف بجانبك وأعترف لهم بأنني أنا الذي نصحتك باتّخاذ هذه الخطوة.

* * *

الفصل الثاني عشر

- أيتها الفتاة، أنت أيتها الفتاة، تعالَي هنا.

نظرت لوسي وراءها فإذا بالعجوز كراكنثورب يشير إليها من باب غرفته الخاصة، فقالت له: هل تريدني يا سيدي؟

- نعم، تعالَي.

ذهبت لوسي إليه فقال لها وهو يدخل الغرفة معها ويغلق الباب: أريد أن أطلعك على شيء.

فنظرت لوسي حولها حيث رأت الغرفة مزدحمة بالخزانات والأدراج والسجلات فقالت له: هل تريد منّي أن أنظّف وأرتّب الغرفة لك يا سيدي؟

- لا، بل أريد أن أطلعك على شيء. هذه هي غرفتي الخاصة التي لا أسمح لأحد أن يعبث بمحتوياتها.

- شكراً يا سيدي، ولكنني مشغولة جداً؛ ففي البيت ستة أشخاص يحتاجون إلى الطعام دائماً.

- أجل، ستة أشخاص لا يكفّون عن الأكل. سوف

يخربون بيتي. ولكن مهلاً، إنهم ينتظرون موتي ليتمتّعوا بالثروة، وهذا ما لن يكون لأنني سوف أعيش بعدهم، فأنا أقوى مما يظنون جميعاً.

- أنا واثقة من ذلك.

- ولست عجوزاً كما يظنون أيضاً، فهم يعاملونني كرجل عجوز ولكنني لست كذلك، أليس هذا هو رأيك؟

- أنت لست عجوزاً يا سيدي.

- أنت فتاة عاقلة جداً. والآن سوف أطلعك على شيء جميل.

ثم فتح دُرجاً تناول منه كيساً جلدياً كبيراً مليئاً بالجنيهات الذهبية، وبعد أن نثر بعض الجنيهات في كفّه قال بابتهاج: أترَين هذه الجنيهات؟ لديّ الكثير منها، جنيهات ذهبية جميلة، وليست كالجنيهات الورقية القبيحة التي نتعامل بها الآن. انظري إليها والمسيها.

ولما أطاعته لوسي إرضاءً له قال: أتعرفين لماذا أُطلعك على هذا؟ لأؤكد لك أنني ما زلت متعلّقاً بالحياة، وأنت فتاة شابة فدعيني أنصحك، حذارِ أن تهبي قلبك لشاب من شباب هذه الأيام؛ إنهم جميعاً حمقى وكسالى وطمّاعون. عليك أن تفكري في مستقبلك كثيراً، وإذا أردت الزواج فانتظري.

ثم همس قائلاً: عليك أن تنتظري، ولن أقول لك أكثر من هذا. هؤلاء الحمقى يحسبون أنني سأموت قريباً، ولكن

سوف نرى. هارولد لم ينجب ذرّية، وألفريد وسدريك غير متزوجَين، ولن تتزوج إيما أبداً، إنها تحبّ ذلك الطبيب الأحمق كويمبر ولكنه لن يتزوجها، صدّقيني. ويوجد ألكسندر، وأنا أحبّه. نعم، أحبّه، فما رأيك؟ نعم، ما رأيك؟

حينئذ سمعت لوسي صوت إيما تناديها، فانتهزت تلك الفرصة وقالت وهي تنصرف بسرعة: الآنسة إيما تناديني ويجب أن أمضي الآن.

- حسناً، لا تنسَي ما قلته لك، وليكن هذا سراً بيني وبينك.

فأسرعت لوسي خارج الغرفة وهي تتساءل في سرّها: هل عرض العجوز الزواج عليّ؟

* * *

كان المفتش كرادوك جالساً إلى مكتبه في إدارة سكتلنديارد عندما أعلن الساعي وصول الآنسة إيما كراكنثورب لمقابلته، وسرعان ما أذن لها بالدخول.

قالت إيما بعد أن استقبلها المفتش بحفاوة وتبادل معها حديثاً خفيفاً ليثير الاطمئنان في نفسها: لقد رأيت إخوتي الثلاثة يا سيد كرادوك، ولكن كان لي أخ رابع مات في الحرب هو إدموند، وكان قد أرسل إليّ رسالة من فرنسا قبل موته بأيام قليلة.

ثم تناولت من حقيبة يدها رسالة قدّمتها إلى كرادوك الذي راح يقرؤها بإمعان، وكان هذا نصها:

عزيزتي إيما،

أرجو أن لا يصدمك هذا النبأ، أنا أنوي الزواج قريباً جداً بفتاة فرنسية، وأعتقد أنك ستحبينها. اسمها مارتين، وأرجو أن تهتمّي بأمرها إذا حدث لي شيء، وسوف أخبرك بالتفصيلات في خطابي التالي حين يتمّ الزواج. أوصلي النبأ إلى الوالد العجوز برفق، ولا شك أنه سيثور عليّ ثورة هائلة.

حين فرغ كرادوك من قراءة الخطاب قالت إيما: وبعد يومين من تسلّمي هذا الخطاب وصلتني برقية من إدارة الجيش تعلن فيها أن إدموند مفقود، وبعد أيام علمنا أنه قُتل، وكان ذلك قبل معركة دنكرك بقليل. وبسبب الفوضى والاضطرابات التي كانت سائدة في تلك الفترة لم تستطع إدارة الجيش أن تعثر على أية مستندات تثبت زواج أخي قبل مصرعه، وكل ما نعرفه عن الفتاة التي تزوجها (أو التي كان ينوي الزواج بها) أن اسمها مارتين، ولا شيء غير هذا. وقد ظننا أن الزواج لم يتمّ وأنه من المحتمل أن تكون الفتاة قد ماتت في الحرب أيضاً.

فأومأ كرادوك برأسه في حين استطردت إيما تقول: ولك أن تتصوّر دهشتنا حين تسلّمنا خطاباً من سيدة تُسمى مارتين كراكنثورب منذ شهر تقريباً، وهذا هو.

ثم قدّمت إيما إلى المفتش خطاباً آخر تناولته من حقيبة يدها، وكان نصه:

عزيزتي الآنسة إيما،

أرجو أن لا تدهشي كثيراً حين تتسلّمين هذا الخطاب، فأنا لا أكاد أعرف ما إذا كان أخوك إدموند أخبرك بأننا تزوجنا أم لا. لقد كان ينوي أن يقول لك، ولكنه مات قبل أن يتمكن من هذا. على أية حال لقد تمّ زواجنا في أثناء احتلال الألمان لبلادي، وبعد انتهاء الحرب رأيت أن أكتب إليك بناء على رغبة إدموند، ولكنني كنت قد بدأت حياة جديدة حينئذ ولهذا لم أرَ داعياً لأن أكتب إليك. إلا أن الظروف تغيّرت، ومن ثَم قرّرت أن أكتب إليك من أجل ابني، وابن أخيك أيضاً. أنا لم أعُد أستطيع أن أرعاه كما ينبغي، ولهذا سوف أحضر إلى إنكلترا في الأسبوع المقبل، فهل يمكن أن تسمحي لي بزيارتك؟ إذا لم يكن لديك مانع فأرجو أن تكتبي الردّ على هذا العنوان: ١٢٦ شارع إيلفرز كريسنت ن ١٠.

تحياتي القلبية، مارتين كراكنثورب.

صمت كرادوك برهة قبل أن يعيد الخطاب إلى إيما قائلاً: وماذا فعلت عند تسلمك هذا الخطاب يا آنسة إيما؟

- كان زوج شقيقتي المتوفّاة بريان إيستلي ضيفاً علينا في ذلك الوقت، فأخبرته بأمر الخطاب وطلبت مشورته فيما ينبغي أن أفعل، وقد نصحني بالحذر والتريّث وفحص كل ما يثبت حقيقة شخصية مارتين عند حضورها.

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة: وهذا أمر طبيعي،

ولكنني كنت قد قرّرت أن أرحّب بمارتين إذا ثبت لي أنها زوجة إدموند حقاً، ومن ثَم أرسلت رداً على العنوان الذي ذكرَته لي وانتظرت حضورها، وفجأة تسلّمت برقية منها تخبرني فيها بأنها قرّرت العودة إلى فرنسا لأسباب طارئة، وبعدها لم أعرف عنها شيئاً.

- ومتى حدث هذا كله؟

فكرت إيما قليلاً قبل أن تردّ قائلة: قبل عيد الميلاد بقليل، أذكر هذا لأنني طلبت منها في ردّي على خطابها أن تأتي وتشاركنا في الاحتفال بعيد الميلاد حيث يكون أفراد الأسرة جميعاً موجودين، وأتذكر أن برقيتها الأخيرة وصلتنا قبل عيد الميلاد بأيام قليلة.

فقال كرادوك بعد تفكير قليل: وهل تعتقدين أن المرأة القتيلة هي مارتين؟

- أنا لا أعتقد شيئاً، ولكنني أردت أن أخبركم بكل ما أعرفه عن هذا الشأن.

- أحسنت صنعاً يا آنسة إيما، وسوف نتّصل بشرطة فرنسا لنعرف الحقيقة عن تلك المدعوّة مارتين، كما أننا سنسأل رجال المباحث الفرنسيين عن الفتيات أو النساء اللائي اختفَين من فرنسا قبل عيد الميلاد بقليل دون أن يتركن وراءهن أثراً، ولا شك أن أوصاف المرأة القتيلة سوف تحصر البحث في أضيق نطاق.

ثم أردف قائلاً: هل أخبرت أحداً بأمر مارتين غير زوج

شقيقتك؟

- لقد أخبرت الجميع طبعاً. وقد ثار أبي غضباً وقال إنها كاذبة وتريد أن تظفر بجانب من الثروة فضلاً عن البيت والمزرعة. ولم يهتمّ ألفريد بالأمر، وقال سدريك إنها كاذبة على الأرجح، أما هارولد فطلب أن نكون على حذر في موقفنا من الموضوع كله.

- وماذا عن موقف السيد ويمبورن المحامي؟

- نحن لم نخبره بالأمر لأن برقيّتها وصلتنا وفيها تفيد بأنها لن تحضر.

- حسناً يا آنسة إيما، نحن نكرّر الشكر لك على تطوّعك بالحضور إلينا وإخبارنا بهذا الأمر. هل أيّدك أحد إخوتك في هذه الخطوة؟

فتردّدت إيما برهة ثم قالت: الواقع أنني لم أخبر أحداً بأنني سأحضر إليك غير الدكتور كويمبر الذي دفعني إلى الحضور إليك قائلاً إن هذا ما يجب عليّ كي يستريح ضميري.

- حسناً يا آنسة إيما، وشكراً مرّة أخرى.

بعد انصرافها استدعى كرادوك مساعده الرقيب ويزرال وقال له: اذهب ومعك مجموعة من صور المرأة القتيلة إلى شارع إيلفرز كريسنت رقم ١٢٦ ن ١٠، واسأل عن سيدة تُدعى مارتين كراكنثورب، واسأل هل أقامت في ذلك العنوان

بضعة أيام قبل عيد الميلاد أم لا.

* * *

بعد ساعات قليلة تسلّم كرادوك برقية من مدير المباحث الجنائية الفرنسية السيد ديسنت يقول له فيها: «الأوصاف التي أرسلتها تنطبق على راقصة باليه كانت متزوجة برجل إنكليزي غير معروف الاسم وتُدعى آنا سترافيسكي، وقد اختفت قبل عيد الميلاد بنحو عشرة أيام دون أن تترك وراءها أثراً».

* * *

الفصل الثالث عشر

طلبت إيما كراكنثورب من لوسي أن تدعو عمّتها الآنسة ماربل لتناول الشاي مع الأسرة، وقد وجّهت إيما تلك الدعوة مجاملة للوسي واعترافاً بجميلها، فانتهزت الآنسة ماربل تلك الفرصة وفحصت بنظراتها النافذة جميع أفراد الأسرة، حتى الطبيب الدكتور كويمبر الذي حضر وشرب الشاي معهم.

بعد ذلك أعادت لوسي الآنسة ماربل إلى بيتها في قرية سانت ماري ميد، وحين كانت عائدة في طريقها إلى البيت وبينما هي تخترق الطريق الضيّق الواقع وراء الجسر رأت على ضوء المصباحَين الأماميَّين للسيارة ألفريد كراكنثورب يتقدّم نحوها، ثم ركب بجوارها حين وقفت وفتحت له الباب وهو يقول: شكراً يا عزيزتي. إن الجوّ بارد جداً، وكنت أريد أن أتمشى قليلاً ولكنني لم أستطع. هل أوصلت عمّتك العجوز اللطيفة إلى بيتها؟

- نعم، وهي شاكرة لكم حفاوتكم بها.

- في الواقع نحن الذين نشكر لها حضورها؛ فالحياة هنا مملّة جداً، ولست أدري كيف تصبرين عليها!

– أنا مشغولة معظم الوقت كما تعلم، ولهذا لا أشعر بالملل.

فنظر إليها برهة ثم قال: أنت يا لوسي (وأرجو أن تسمحي برفع الكلفة بيننا) ذكية ومثقّفة وعلى جانب كبير من الكفاءة، وأعتقد أن العمل في البيوت لا يناسبك، فإن بمقدورك أن تؤدّي أعمالاً أكبر وأخطر كثيراً.

– مثل ماذا؟

– مثل أن تكوني شريكة لي في القيام ببعض الصفقات التجارية الهامة. الواقع أنني في حاجة إلى فتاة مثلك لتقف بجانبي، وكذلك في حاجة شديدة إلى رأس مال كبير، ولكن هذا المال سوف يأتيني بعد وفاة أبي، وما أظنه سيعيش طويلاً.

فقالت لوسي بهدوء: أما من ناحية والدك فهو قد يعيش حتى يبلغ المئة.

– لا، أرجوك. لو أنه فعل هذا لكانت مصيبة علينا جميعاً.

– هل تكره أباك إلى هذه الدرجة؟

– أنا لا أكرهه، ولكنني أكره بُخله وحرصه على المال، أما من ناحيتك أنت...

– أنا أشكر لك ثقتك بي، ولكنني أفضّل عملي على مشاركتك في صفقاتك.

- حتى لو طلبت منك الزواج؟

فابتسمت لوسي وقالت: أنت تتحدّث عن الزواج كأنه صفقة.

- وهل هو شيء غير هذا؟

كانت السيارة قد وصلت إلى المرأب فأوقفتها لوسي وقالت: الزواج في رأيي أعظم من أن يكون صفقة تجارية يا سيد كراكنثورب. طابت ليلتك.

وبينما كانت لوسي تهمّ بدخول المطبخ التقى بها هارولد فقال لها: آنسة إيلزبارو، هل يمكن أن أتحدّث معك على انفراد؟

- لا، ليس الآن، ليكن بعد أن أفرغ من إعداد العشاء إذا شئت.

- حسناً، سوف أنتظرك.

وبعد أن تناولت الأسرة طعام العشاء وغسلت لوسي الأواني والأطباق وجدت هارولد في انتظارها في الردهة، فقال لها: هل يمكن أن نتحدّث في غرفة الاستقبال؟

فأومأت لوسي برأسها، وعندما دخلا إلى غرفة الاستقبال أغلق هارولد الباب ثم قال: سوف أعود إلى لندن غداً صباحاً، وأريد أن أقول لك إنني معجب جداً بشخصيتك وكفاءتك.

- شكراً يا سيد كراكنثورب.

- أرى أن مواهبك تضيع هنا سُدى.

- أهذا هو رأيك؟

ثم قالت في نفسها: على أية حال فهو لن يستطيع أن يعرض عليّ الزواج لأنه متزوّج فعلاً.

فقال هارولد: إذا أردت أن تلتحقي بعمل يتناسب مع ثقافتك ومواهبك فلا تتردّدي في الحضور إلى مكتبي بلندن. سوف أترك لسكرتيرتي التعليمات الخاصة بإلحاقك بالعمل المناسب وبأجر كبير.

فابتسمت لوسي وقالت: سوف أفكر في هذا الأمر، وشكراً جزيلاً يا سيد كراكنثورب.

- لا تتردّدي طويلاً؛ فالفرصة التي تُتاح للإنسان مرّة قد لا تُتاح مرّة أخرى، والعاقل مَن ينتهزها ويستفيد منها إلى أقصى درجة.

ثم ابتسم وأردف قائلاً: طابت ليلتك يا آنسة إيلزبارو، وأرجو لك نوماً هادئاً.

فقالت لوسي لنفسها وهي تصعد إلى غرفة نومها: ما أعجب هذا كلّه!

ثم فوجئت بسدريك يعترض طريقها وهو يقول: اسمعي يا لوسي، أريد أن أقول لك شيئاً.

- أتريد أن تعرض عليّ الزواج أنت أيضاً؟

فارتسمت الدهشة البالغة على وجه سدريك وهو يقول: أنا لم أفكر في شيء من هذا إطلاقاً!

- أنا آسفة، يبدو أنني أخطأت.

- كنت أريد أن أسألك فقط عن مكان الشاي والسكر.

- إنهما على الرفّ الكبير بالمطبخ.

- شكراً، ولكنني أنصحك بعدم التسرّع في الحكم على الناس، كما لا ينبغي أن تظنّي أن كل رجل يريد أن يتزوجك. حقاً أنت فتاة جميلة ولكنك لست أجمل كثيراً من فتيات كثيرات غيرك، وإذا أردت الحقيقة فأنت آخر فتاة أفكر في الزواج بها.

فقالت لوسي متهكمة: حقاً؟ إذن لعلك تفضّل أن أكون زوجة لأبيك.

- ماذا تقولين؟!

فقالت لوسي وهي تدخل غرفة نومها وتغلق الباب: لقد سمعتني جيداً، فلا داعي للتكرار.

* * *

الفصل الرابع عشر

كان المفتش كرادوك في طريقه إلى خارج مكتبه عندما التقى بمساعده الرقيب ويزرال الذي قال له: لم يتعرّف أحد على صاحبة الصورة في العنوان المذكور يا سيدي.

- لعلها أقامت هناك باسم مستعار.

- حتى لو فعلت، فقد كان من الممكن أن يتعرّف أحد على الصورة.

- وماذا عن الفنادق القريبة من المكان؟ ألم تنزل بها سيدة باسم مارتين كراكنثورب أو آنا سترافيسكي قبل عيد الميلاد بعشرة أيام تقريباً؟

- تحرياتنا لم تنتهِ إلى شيء يا سيدي.

- وماذا عرفتم عن هارولد وسدريك وألفريد؟

- هارولد يمرّ بأزمة مالية خانقة، وإذا لم يظفر بمبلغ كبير من المال فسوف يعلن إفلاسه في خلال شهر على الأكثر، أما سدريك فهو يعيش ليومه ولا يفكر في غده، وأما ألفريد

فهو يقوم بأعمال تجارية صغيرة لا تخلو من مخالفة قوانين التموين أحياناً.

- حسناً جداً يا ويزرال، واصل تحرّياتك في هذا الشأن، ولا بدّ أن تصل إلى شيء في النهاية.

ثم استقلّ سيارته ومضى في الطريق إلى مكتب هارولد كراكنثورب الذي كان يقع في الطابق الرابع من عمارة كبيرة بشارع كوبر ستريت. ولما أذنت له السكرتيرة بالدخول نهض هارولد من وراء مكتبه الفاخر مرحّباً بالمفتش قائلاً: طاب صباحك يا سيد كرادوك، أرجو أن تكونوا قد توصلتم إلى شيء محدّد أخيراً.

- يؤسفني أننا لم نصل إلى شيء بعدُ يا سيد كراكنثورب، ولكنني أرجو أن تسمح لي بتوجيه بعض الأسئلة إليك.

- أسئلة أخرى؟ لقد ذكرنا لك كل ما نعرفه.

- أجل، ولكنه سؤال واحد فقط.

- حسناً، أنا تحت أمرك.

- هل يمكنك أن تذكر لي تحرّكاتك بالتفصيل في يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول (ديسمبر) فيما بين الثالثة بعد الظهر إلى منتصف الليل؟

قطب هارولد جبينه ثم قال: هذا السؤال يوجَّه إلى الأشخاص المشتبَه في أمرهم عادة.

- يمكنك أن ترفض الإجابة إذا شئت.

فهزّ هارولد كتفَيه وقال: لا داعي لإثارة المشكلات. إن تحركاتي مسجّلة في دفتر مواعيدي لدى الآنسة إيلليز، سكرتيرتي.

ثم ضغط على الجرس، فلما حضرت سكرتيرته قال لها: أرجو أن تحضري دفتر مواعيدي يا آنسة إيلليز.

ولما فعلت السكرتيرة قال لها: اذكري للسيد كرادوك تحركاتي في يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول (ديسمبر) فيما بين الساعة الثالثة بعد الظهر إلى منتصف الليل.

فقالت الآنسة إيلليز وهي تقرأ من دفتر المواعيد: لقد تناولت الغداء بعد الفراغ من العمل صباحاً مع اللورد نورثيفل بمطعم بيركلي يا سيدي.

- أجل، تذكرت.

- ثم عُدت إلى مكتبك في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر حيث أمليت عليّ بعض الرسائل، وفي الساعة الرابعة تقريباً ذهبت إلى ساحة مزادات سوثبي حين علمت أن بعض المخطوطات النادرة معروضة للبيع بالمزاد، ولم تَعُد إلى المكتب في ذلك المساء لأنك كنت مدعوّاً إلى حفلة نادي كاترنغ.

- شكراً يا آنسة إيلليز.

وبعد انصراف السكرتيرة قال هارولد للمفتّش كرادوك:

هذه هي تحرّكاتي في ذلك الوقت من ذلك اليوم، وبعد انصرافي من ساحة المزادات دون أن أشتري شيئاً بسبب ارتفاع الأسعار الشديد عُدت إلى بيتي في نحو السابعة إلا الربع لأرتدي ملابس السهرة كي أذهب إلى حفلة النادي في السابعة والنصف تماماً، وحين انتهت الحفلة عُدت إلى بيتي. وبالمناسبة، أنا أقيم في شارع كارديغان غاردنز رقم ثلاثة وأربعين.

- حسناً يا سيد كراكنثورب، وشكراً على تعاونك معنا.

حين عاد كرادوك إلى مكتبه قال لمساعده الرقيب ويزرال ذاكراً له نتيجة مقابلته لهارولد: من المحتمل أن لا يكون قد ذهب إلى ساحة المزادات بل ركب القطار فارتكب الجريمة ثم ذهب إلى حفلة النادي، وفي منتصف الليل تسلّل إلى مزرعة أبيه وأخفى الجثة. وهو أسمر اللون أسود الشعر طويل القامة، أي أنه تنطبق عليه صفات القاتل كما ذكرتها السيدة ماكلودي. والآن لنذهب إلى الأخ ألفريد.

* * *

رفض ألفريد أن يجيب على سؤال المفتش كرادوك وقال معترضاً: أنا لا أحتفظ بدفتر مواعيد مثل أخي هارولد، ولن أستطيع أن أتذكر أين ذهبت أو أين كنت في مساء يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول على وجه التحديد. هل تستطيع أنت يا سيدي المفتش أن تذكر ماذا فعلت في ذلك الوقت من ذلك اليوم؟

فوجئ كرادوك بهذا السؤال، ولكنه تمالك نفسه وقال: أرجو أن تحاول التذكر، ويمكنك أن ترفض الإجابة إذا شئت.

- أنا أرفض الإجابة لأنني لا أستطيع أن أتذكر شيئاً من هذا القبيل مهما حاولت طبعاً. أنا لا أذكر ماذا أكلت في وجبة الغداء أمس الأول.

فقال كرادوك في نفسه: إذا لم يكن هو القاتل فلا بدّ أنه كان في ذلك اليوم مشغولاً بعقد إحدى صفقاته المريبة، ولهذا يرفض الإجابة على السؤال.

حين عاد إلى مكتبه في سكتلنديارد راح يكتب في سجلّ أمامه:

القاتل: رجل طويل خمري اللون أسود الشعر.

القتيلة: قد تكون مارتين كراكنثورب أو آنا سترافيسكي راقصة الباليه في الفرقة الجوالة، أو أن تكون زوجة أولى لهارولد وقد قتلها حتى لا يُتّهم بتعدّد الزوجات، أو أن تكون صديقة لألفريد وقد عرفت بعض أسراره فهدّدته بإبلاغ الأمر للشرطة، أو أن تكون امرأة لها علاقة مريبة بسدريك في الخارج ثم جاءت وهدّدت بإثارة فضيحة في محيط الأسرة فقتلها، أو قد تكون آنا سترافيسكي بعد أن انتحلت شخصية مارتين كراكنثورب.

النتيجة: القتيلة مجهولة، والقاتل مجهول.

الحافز على القتل: غير معروف.

ثم هزّ رأسه بحيرة وقال: لو أن القتيل كان العجوز كراكنثورب لَسُهل علينا أن نعرف القاتل لأن الحافز على الجريمة واضح جداً، أما هذه الجريمة فلا نعرف لها سبباً ولا نعرف شخصية القتيلة ولا نعرف مَن هو القاتل.

ثم عاد يكتب ما يلي:

الخطوات التالية:

أولاً: سؤال سدريك عن تحرّكاته يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول (ديسمبر).

ثانياً: سؤال الدكتور كويمبر عن مرض العجوز كراكنثورب يوم الاحتفال بعيد الميلاد.

ثالثاً: استشارة الآنسة جين ماربل في هذه المشكلة.

* * *

الفصل الخامس عشر

قال كرادوك وهو يضحك مع الآنسة جين ماربل في مسكنها: دعيني أقدّم إليك هذه الجنيهات الثلاثة يا آنسة ماربل.

رفعت حاجبيها وقالت بدهشة: لماذا يا سيد كرادوك؟!

- أجرة استشارة.

فضحكت لوسي إيلزبارو ثم قالت: هذه أول مرّة أشعر فيها أنك مخلوق بشريّ مثلنا يا سيد كرادوك.

فغمز لها بعينه وقال: أنا الآن متحرّر من صفتي الرسمية، وما أنا إلا ضيف على الآنسة ماربل.

ثم أردف قائلاً للآنسة جين ماربل: لقد علمت أنك تناولت الشاي ذات مرّة مع آل كراكنثورب، أليس كذلك؟

- بلى، وأمضيت فترة طيبة بينهم، ولكنني للأسف لم أرَ العجوز كراكنثورب، والإنسان لا يستطيع أن يحقق كل ما يطمع فيه.

فقالت لوسي: هل تعنين أنك تستطيعين أن تتعرّفي على القاتل إذا رأيتِه؟

- لا يا عزيزتي، أنا لا أعني هذا. في مثل هذه الأمور يميل الإنسان إلى الاستنتاج، ولكن الاستنتاج وحده يكون خطيراً حينما يتعلق بجرائم القتل، وليس على الإنسان إلا أن يلاحظ الأشخاص الذين تدور حولهم الشبهات في مثل هذه الظروف ويلاحظ طريقة تصرّفهم وأسلوبهم في الحديث.

قالت لوسي: أريد معرفة رأيك في إيما يا آنسة ماربل.

- إنها تبدو على غير حقيقتها؛ شخصيتها قوية وهي على جانب كبير من الكفاءة، ولكنها تحب أن تضحّي بمصالحها من أجل غيرها، ويبدو لي أنها تحب الدكتور كويمبر وتعتبره زوج المستقبل.

فقالت لوسي بدهشة: ولكن الدكتور كويمبر عجوز بالنسبة لإيما!

- لا، ليس عجوزاً كما تظنين وإنما هو مرهَق من العمل فقط، فهو لم يتجاوز الخامسة والأربعين بعد. كما أن إيما لم تبلغ الأربعين، أي أن فرصة الزواج لا تزال سانحة أمامها، ولا سيما أنها على جانب كبير من الجمال. ولا تنسَي أن الدكتور كويمبر يشعر بالوحدة بعد أن ماتت زوجته في أثناء الوضع، هذا ما سمعته.

فقالت لوسي: وأنا أيضاً سمعت من إيما شيئاً من هذا القبيل.

كان كرادوك قد جاء إلى الآنسة ماربل خاصة ليسمع ما يُقال عن آل كراكنثورب، لذا ظلّ جالساً ينصت باهتمام، ثم استطردت الآنسة ماربل قائلة: أعتقد أنه لم يَعُد ثمة سبب لبقائك في خدمة آل كراكنثورب يا لوسي؛ فقد أدّيت واجبك ويمكنك أن تتركي العمل لديهم وتستمتعي بالجزء الباقي من إجازتك.

فهتفت لوسي قائلة: لا، أنا شديدة الاهتمام بهذه الجريمة الآن، ولا بدّ لي من البقاء حتى تنجلي غوامضها. وأكاد أبدو متحمّسة مثل الولدين ألكسندر وصاحبه جيمس، فهما لا يكفّان عن البحث عن أدلة، فيفتّشان في صناديق القمامة والمخازن القديمة، وإذا حدث أن جاءا إليك يا سيد كرادوك ومعهما قصاصة ورق مكتوب عليها اسم مارتين فاعلم أنني سأكون السبب لأنني قد أُشفق عليهما وأدسّ ورقة من هذا النوع في مكان ما ليعثرا عليها ويشعرا بالزهو والانتصار في النهاية.

فقال كرادوك وهو يتأمّل وجه لوسي الجميل بإعجاب: مَن في البيت من أبناء العجوز الآن؟

- سدريك، وقد جاء بريان إيستلي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وسوف يحضر ألفريد وهارولد غداً، فقد قالا هذا هاتفياً.

فقال كرادوك: سوف آتي إلى بيت آل كراكنثورب قريباً لأنني أريد أن أتحدّث مع سدريك، ولكنني أرجو أن أتحدّث أولاً مع الدكتور كويمبر.

– سوف يحضر بعد انتهائه من عمله في عيادته في الساعة السادسة والنصف مساء. بالمناسبة، يحسن أن أسرع بالعودة لكي أعدّ وجبة العشاء للأسرة.

فقال كرادوك: أريد أن أعرف رأيك في موضوع آخر يا آنسة إيلزبارو، ما هو موقف أفراد الأسرة فيما يتعلّق بموضوع مارتين؟

– إنهم غاضبون أشدّ الغضب من إيما لأنها أطلعتك على رسالة مارتين، وقد امتدّ غضبهم إلى الدكتور كويمبر لأنه هو الذي شجّعها على الذهاب إليك بالرسالة.

– وما رأيهم في مارتين ذاتها؟

– سدريك وألفريد وهارولد يؤمنون بأنها محتالة كاذبة، وإيما غير واثقة من شيء، أما بريان فيعتقد أن مارتين هي زوجة أو خطيبة إدموند حقاً.

– لماذا يعتقد هذا؟

– لأن هذه طبيعته، فهو يتقبّل كل شيء ببساطة ولا يحاول أن يعقّد الأمور أو يثير المتاعب، فإذا جاءت امرأة وقالت إنها زوجة أو خطيبة إدموند فلماذا يشك في أمرها؟

فقالت جين ماربل وهي تغمز بعينيها: وما موقفه منك يا لوسي؟ هل حاول أن يغازلك أيضاً؟

فاضطرم وجه لوسي وقالت: إنه يتردّد على المطبخ كثيراً ويبادلني الأحاديث العادية ويساعدني في غسل الأوعية

ويشكو لي من شعوره بالوحدة أحياناً.

- وماذا عن ألفريد وهارولد وسدريك والعجوز كراكنثورب؟

ازداد وجه لوسي احمراراً وهي تقول: لو أنك عشت قبل وقتنا هذا بمئتَي عام لأحرقوك بتهمة السحر والشعوذة يا آنسة ماربل. كيف عرفت أنهم جميعاً يغازلونني على نحو ما؟

- الرجال يتشابهون في تصرّفاتهم أمام فتاة جميلة مثلك عادة.

فضحكت لوسي ثم سردت عليها حديث العجوز كراكنثورب معها وتلميحه لها برغبته في الزواج، ثم تحدّثت عن موقف كل من الأبناء منها، وعندئذ قال كرادوك محذِّراً: كوني على حذر، وإلا لعمد أحدهم إلى قتلك بدلاً من الزواج بك.

فابتسمت لوسي وقالت: أعتقد أن مسألة قتلي أسهل من قبولي الزواج بأحدهم.

ثم أردفت قائلة لتغيّر الموضوع: إن الولدين ألكسندر وصاحبه يستمتعان بهذا الحادث وكأن الأمر لعبة مسلّية.

فقالت الآنسة ماربل: لا يا عزيزتي، إن القتل ليس لعبة مسلّية.

ثم أردفت قائلة: متى سيعودان إلى مدرستهما؟

- الأسبوع المقبل، ولكنهما سيرحلان غداً إلى بيت والد جيمس ليقضيا بضعة أيام هناك قبل العودة إلى المدرسة.

- أنا سعيدة بهذا لأنني أخشى أن يحدث شيء قبل مغادرتهما مزرعة آل كراكنثورب.

- هل تعنين العجوز كراكنثورب؟ هل سيكون الضحية التالية؟

- آه! لا، لا، إنه في أمان، بل أعني الولدين.

- الولدين؟!

- أعني ألكسندر بالذات.

حينئذ قال المفتش كرادوك: إذن فأنت تعتقدين أن تلك المرأة القتيلة المجهولة لها علاقة بآل كراكنثورب، أليس كذلك؟

- لها علاقة على نحو ما، وإلا ما أُخفيت جثّتها في ذلك المكان بالذات؟

فقال كرادوك مفكراً بصوت مرتفع: كل ما نعرفه عن القاتل هو أنه رجل طويل القامة أسمر اللون أسود الشعر كما ذكرته السيدة ماكلودي صديقتك، وهذه الصفات تنطبق على الإخوة الثلاثة وبريان إيستلي أيضاً. أربعة رجال سمر البشرة وشعورهم سوداء، هذا شيء محيّر.

فقالت الآنسة ماربل: أنا أتساءل أحياناً، هل الأمر أبسط مما نظن جميعاً؟ فعادة لا تكون جرائم القتل غامضة لو أننا فكرنا فيها منطقياً.

- أجل، هذا صحيح. ولكن هل تعتقدين أن المدعوة مارتين هي زوجة أو خطيبة إدموند حقاً يا آنسة ماربل؟

- أنا أعتقد أن إدموند تزوّج أو كان ينوي الزواج بفتاة فرنسية تُدعى مارتين لأن إيما ليست من الطراز الذي يمكن أن يزيّف خطاباً مثل ذلك الخطاب، وإذا كانت قد زيّفته فما هو هدفها من هذا؟

ففكر كرادوك ثم قال: أجل، لا بدّ أنه يوجد هدف من تزييف مثل ذلك الخطاب إن كان مزيَّفاً، أما إذا كان حقيقياً فلا شك أنه أغضب الأبناء جميعاً لأنه سيقلّل نصيب كل منهم في الثروة بمقدار الخُمس، ولا سيّما أنهم جميعاً على وشك الإفلاس.

فقالت لوسي: حتى هارولد؟

- نعم، هارولد يتظاهر بالثراء والنجاح كرجل أعمال، ولكنه مهدّد بالإفلاس في أية لحظة، إلا إذا حصل على مبلغ كبير.

فقالت الآنسة ماربل: ولكن موت مارتين لا يفيد أحداً من هؤلاء إلا إذا مات العجوز كراكنثورب.

- أجل، وهذا ما خطر لي أيضاً، ولكن كراكنثورب في

صحّة جيدة كما قال لي الدكتور كويمبر.

فقالت لوسي: ومن المرجّح أن يعيش عدداً من السنوات.

- أهكذا؟

- نعم، ولكنه أصيب بمغص شديد في عيد الميلاد، وقد اهتمّ الدكتور كويمبر بالأمر حتى ضاق العجوز باهتمامه قائلاً إن الطبيب الأحمق اهتمّ بهذا المغص وكأنه حالة تسمّم.

فقال كرادوك: هذا ما أريد أن أسأل كويمبر عنه.

- حسناً، يجب أن أذهب الآن؛ لقد تأخرت كثيراً.

فقالت الآنسة جين ماربل: لقد حدّثتني عن راقصة الباليه الفرنسية آنا سترافيسكي يا سيدي المفتش. ألم تبلغك أنباء عن ظروف اختفائها بعد؟

فهزّ كرادوك رأسه وقال: لم يبلغني شيء بعد.

- ألم تعرف مَن هو زوجها الإنكليزي؟

- كل ما عرفناه أنها انفصلت عنه بلا طلاق.

فغمغمت جين ماربل قائلة: لو كنت في مكانك لازددت اهتماماً بأمر تلك الراقصة يا سيد كرادوك.

* * *

الفصل السادس عشر

جلس كرادوك في غرفة الانتظار بعيادة الدكتور كويمبر حتى فرغ هذا من عمله، ثم أقبل عليه مرحّباً فقال كرادوك: أولاً لقد جئت لأشكرك على تشجيعك الآنسة إيما فيما يتعلّق بعرضها خطاب مارتين عليّ.

- لا داعي للشكر، لقد رأيت أنها شديدة القلق بسبب ذلك الخطاب فطلبت منها أن تُريح ضميرها وتعرضه عليك، وكان لإخوتها رأي آخر.

- لماذا؟

- لأنهم خشوا أن تشاركهم مارتين في الثروة إذا ثبت أنها ليست محتالة كاذبة.

- وهل تعتقد أنها محتالة؟

- نعم، وأظن أنها عرفَت -بطريقة ما- قصّة زواج أو شروع زواج إدموند بمارتين فأرادت أن تستغلّها لتظفر ببعض المال، ولكنها عدلت عن مشروعها في آخر لحظة خوفاً من افتضاح أمرها.

ثم أردف الطبيب قائلاً بتساؤل: ولكن لماذا تريد أن تعرف رأيي وأنا لا علاقة لي بهذا كله؟

- الواقع أنني جئت لأسألك عن حالة المغص التي أُصيب بها العجوز كراكنثورب في عيد الميلاد.

- نعم، حسناً.

- إنه لا يزال يعتقد أنك بالغت في الاهتمام بهذه الحالة وكأنه أُصيب بتسمّم.

وحين قطب الدكتور كويمبر جبينه دون أن يجيب أردف كرادوك قائلاً: هل كنت تشكّ في أنها قد تكون حالة تسمّم حقاً؟

نهض كويمبر وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بشيء من الاضطراب، ثم قال فجأة: ماذا تريد أن أقول؟ هل تعتقد أنه في مقدور الطبيب إلقاء التهم على الناس دون أن تكون لديه الأدلة الحاسمة؟

- أنا أريد أن أعرف رأيك فقط، ولن أسجّله في تحرياتي.

عندئذ قال كويمبر مراوغاً: إن العجوز كراكنثورب يبخل على نفسه حتى في الأكل، ولكنه عند حضور أولاده يتسابق معهم في تناول أطايب الطعام الذي تعدّه إيما رغماً عنه، وهذا ما حدث في عيد الميلاد، فقد أسرف في تناول الطعام حتى أُصيب بالمغص الشديد.

فأومأ كرادوك برأسه وقال: ولكنك لم تطمئنّ إلى أن المغص نتج عن التخمة.

- أجل، لم أطمئنّ لأنني لاحظت أعراضاً جعلتني أرتاب في الأمر. وإذا أردت الصراحة فقد ازداد ارتيابي لأنني أعلم أن أشخاصاً كثيرين يتمنّون موت العجوز كراكنثورب، ولا سيّما أن صحّته العامة تجعل من الممكن أن يعيش حتى سنّ التسعين.

- وهؤلاء الأشخاص هم ورثته جميعاً.

- أجل، ولكن أرجو أن تُخرج إيما من الموضوع، فهي ليست قاتلة. لقد لاحظت أن إصابات العجوز بالمغص تحدث فقط عندما يكون أبناؤه الذكور في البيت، وليس عندما تكون إيما وحدها معه.

- حسناً يا دكتور، دعني أكرّر لك شكري على هذه المعاونة.

* * *

بينما كان كرادوك يقترب من باب بيت آل كراكنثورب سمع همساً وراءه قائلاً: سيد كرادوك، سيد كرادوك.

ففزع المفتش ونظر وراءه فإذا ألكسندر وجيمس يشيران إليه من وراء شجرة كبيرة، فتقدّم نحوهما مدهوشاً وهو يقول: ماذا وراءكما أيها المخبران البارعان؟!

قال ألكسندر هامساً: لقد عثرنا على دليل حاسم.

فقال كرادوك في نفسه: لا شك أن الماكرة لوسي قد اصطنعت لهما دليلاً ليعثرا عليه.

ثم أردف قائلاً وهو يبتسم بإشفاق: أين؟ وما هذا الدليل؟

فتناول ألكسندر من جيبه مظروفاً أخرج منه قصاصة من مظروف صغير ثم قال وهو يمسكها بمنديله كأي مخبر بارع: لقد عثرنا على هذه القصاصة في غرفة السخّان الكبير.

فقال كرادوك وهو لا يزال يبتسم بتهكم: وأين هي غرفة السخّان الكبير؟

- هناك، وراء المخزن الكبير.

- حسناً، وماذا وجدتما؟

- كنا نبحث فيها عن دليل، أي دليل، وكان البستانيّ العجوز يجمع فيها كل ما يفيد في إشعال النار تحت السخّان الكبير، مثل الأوراق والأخشاب والنفايات المختلفة، فظللنا نوالي البحث في تلك الأكوام حتى عثرنا على هذا الجزء من المظروف.

فتناول كرادوك قصاصة المظروف من طرفها وراح ينظر فيها بغير اهتمام، في حين كتم الولدان أنفاسهما من فرط الانفعال، ثم قرأ على قصاصة المظروف الذي لم يكن بداخله شيء تلك العبارة: «السيدة مارتين كراكنثورب، ١٢٦ شارع إيلفرز كريسنت، ن١٠». أي نفس العنوان الذي ذكرته

مارتين في رسالتها إلى إيما.

قال كرادوك في نفسه: يا لك من ماكرة يا لوسي!

ثم قال للولدين: حسناً، هيّا إلى البيت، وشكراً جزيلاً على مجهودكما.

* * *

مضى الولدان بالمفتش كرادوك إلى البيت عن طريق باب المطبخ، وهناك رأوا لوسي مشغولة بإعداد وجبة العشاء في حين جلس بريان إيستلي على حافة مائدة المطبخ يتبادل معها الحديث، فقال ألكسندر لأبيه باسماً: آه! أهذا أنت في مكانك المفضّل يا أبي؟

- أنا أحب هذا المكان، ثم إن الآنسة إيلزبارو لا تضيق بي.

فقالت لوسي: أجل، أنا لا أضيق فعلاً. طاب مساؤك يا سيد كرادوك.

فقال له بريان: هل جئت لتقوم بتحرّياتك هنا في المطبخ يا سيدي المفتش؟

- لا، ولكنني أسأل: هل السيد سدريك كراكنثورب موجود بالبيت؟

- نعم. هل تريده؟

- أريد أن أتحدّث معه قليلاً.

- حسناً، سأذهب لأرى هل هو لا يزال هنا أم لا.

ولما انصرف بريان إيستلي قال جيمس: ماذا ستقدّمين لنا على العشاء يا آنسة إيلزبارو؟

- صينية بطاطا ولحم البقر المشويّ.

- هذا رائع! ألا يوجد شيء يمكن أن نتصبّر به حتى تفرغي من إعداد الطعام؟

- بلى، يوجد على الطاولة جزء من فطيرة التفاح.

فاندفع الولدان معاً باتجاهها، ثم قالت لوسي للمفتّش كرادوك: إنهما شرِهان كالجراد.

فقال كرادوك: أنا أهنّئك يا آنسة إيلزبارو.

- لماذا؟

- لقد خدعت الولدين فاصطنعت لهما دليلاً رائعاً.

- أيّ دليل تعني يا سيد كرادوك؟

قدّم لها قصاصة المظروف وقال: هذا.

فقالت لوسي بدهشة: أنا لم أرَ هذه القصاصة من قبل!

فحملق كرادوك إلى وجهها مدهوشاً، ولما سمع وقع خطوات بريان وهو عائد أعاد قصاصة المظروف إلى مكانها بسرعة.

قال بريان: سدريك في غرفة المكتبة.

- حسناً، سوف أذهب إليه فوراً.

* * *

قال كرادوك لسدريك بعد أن تبادل معه التحية في غرفة المكتبة: هل ستمكث هنا مدّة أخرى يا سيد سدريك؟

- لا، قد أعود إلى إيفيزا غداً أو بعد غد.

- إذن فقد جئت إليك في الوقت المناسب.

- هل اكتشفتم شيئاً جديداً؟

- نحن في الطريق إلى هذا، ولكنني أحب أن تذكر لي تحركاتك يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول (ديسمبر) ابتداء من الساعة الثالثة بعد الظهر إلى منتصف الليل.

- هل أفهم من هذا أن لديكم من الأدلة ما يجعلكم تشتبهون في أمري؟

- هذا مجرّد سؤال ويمكنك أن ترفض الإجابة عنه إذا شئت.

هزّ سدريك كتفَيه وقال: ولماذا أرفض؟ لقد سبق أن قلت أكثر من مرّة إنني كنت أقوم برسم لوحة في كوخي هناك طَوال ما بعد ظهر يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول حتى الثامنة مساء، وبعد ذلك أمضيت السهرة في مقهى

إسكوني مع بعض الرفاق.

- أنا أريد الحقيقة يا سيد سدريك.

فقال سدريك بحدّة: أنا لا أقبل أن تتهمني بالكذب بلا دليل يا سيد كرادوك.

- أهكذا؟ لقد قلت لي إنك تركت إيفيزا في يوم السبت الموافق الحادي والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) ووصلت إلى هنا طائراً في موعد الغداء.

- أجل، وإيما تشهد بذلك.

ثم نادى أخته إيما التي كانت مارّة أمام باب المكتبة في تلك اللحظة فقال لها: ألا تذكرين أنني حضرت إليكم في يوم السبت الموافق الحادي والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) في موعد الغداء يا أختاه؟

- بلى، أذكر.

حين انصرفت قال كرادوك باسماً بتهكّم: نحن لسنا أغبياء كما تظن يا سيد سدريك. هل تسمح بأن تُطلعني على جواز سفرك؟

- آه! لقد أرسلته إلى شركة كوك لتتخذ الترتيبات لعودتي إلى إيفيزا.

- حسناً جداً، هذا لا يهمّ، ولكن التحريات الرسمية أثبتت أنك وصلت إلى إنكلترا بالطائرة يوم الخميس الموافق

التاسع عشر من كانون الأول (ديسمبر) مساء يا سيد سدريك، ولكنك لم تحضر إلى بيت العائلة إلا في يوم السبت الموافق الحادي والعشرين ظهراً، فأين كنت خلال تلك الفترة؟

فقطب سدريك جبينه ثم قال بحدّة: ما هذا؟ أين نعيش في هذه الأيام؟ ألا يستطيع الإنسان أن يذهب إلى حيث يريد دون أن يكون وراءه أحد يراقبه؟

فقال كرادوك: لولا هذا الحادث ما اهتممنا بتحركاتك يا سيد سدريك.

- حسناً جداً. لقد تعرّفت بسيدة حسناء في الطائرة فهبطت معها في المطار ثم سهرت معها تلك الليلة، وبطبيعة الحال لم يكن في مقدوري أن أذكر هذا كله لإيما.

أومأ كرادوك برأسه، وفي تلك اللحظة عادت إيما إلى غرفة المكتبة تقول: سمعت أنك تسأل الجميع عن تحرّكاتهم في يوم الجمعة الموافق العشرين من كانون الأول، وأحب أن أذكر لك تحركاتي بالتفصيل.

فقال كرادوك: لا داعي لهذا يا آنسة إيما، ولكنني أرجو أن تُلقي نظرة على هذه القصاصة. هل هذا خط يدك؟

فقالت إيما بدهشة وهي تنظر إلى قصاصة المظروف: عجباً! نعم، هذا جزء من المظروف الذي أرسلت فيه الخطاب إلى مارتين رداً على خطابها، ولكن كيف عثرت عليه؟! هل التقيت بها أخيراً؟

- لقد عثرنا على هذا الجزء من المظروف هنا.

- في هذا البيت؟!

- في غرفة السخّان بين النفايات.

فقالت إيما بأنفاس لاهثة: إذن هذا يعني أن مارتين جاءت إلى هنا، أي... أي أن الجثة التي وُجدت في التابوت الحجريّ هي جثتها!

فقال كرادوك ببساطة: هذا ما يبدو لي حتى الآن.

وقد ازداد كرادوك اقتناعاً بأن الجثة هي جثة مارتين عندما عاد إلى مكتبه ووجد هذه البرقية المرسَلة من شرطة فرنسا في انتظاره: «لقد استلمَت إحدى زميلات آنا سترافيسكي بطاقة مصوَّرة أرسلتها إليها آنا من جامايكا، وهذا يدلّ على أن آنا سترافيسكي على قيد الحياة وتستمتع بوقتها مع شخص ما في رحلة حول العالم».

فمزّق كرادوك البرقية وألقى بها في سلّة المهملات وهو يقول: لا شك إذن في أن قتيلة التابوت الحجريّ هي مارتين كراكنثورب.

* * *

كان ألكسندر جالساً على حافّة فراشه يلتهم قطعة كبيرة من الحلوى في حين ركعت لوسي أمامه تُعدّ ملابسه داخل حقيبة السفر الكبير، وكان يقول لها: أتعرفين يا آنسة إيلزبارو أن أبي يميل إليك كثيراً؟

- حقاً؟

- وأنا أيضاً أميل إليك كثيراً وأتمنى لو... لو عشنا معاً في بيت واحد.

فقالت لوسي في نفسها: يبدو أن الابن يخطب لأبيه!

ثم قالت بصوت مسموع: أهذا هو رأيك؟

- ورأيه أيضاً، وأعتقد أنه قد آن الأوان لكي يتزوج مرّة أخرى، فليس من المعقول أن يترهّب وهو لا يزال في هذه المرحلة من العمر، ولو أُتيح لي أن أختار له زوجة ما تردّدت في...

عندئذ نهضت لوسي وقالت باسمة: طابت ليلتك يا ألكسندر. لم يبقَ إلا أدوات الصباح كي توضع في الحقيبة. طابت ليلتك، وأتمنى لك سفراً سعيداً.

* * *

الفصل الثامن عشر

كان أفراد أسرة كراكنثورب مجتمعين في الردهة الكبرى يتبادلون الحديث عن التطوّرات الأخيرة في الحادث ويلومون إيما لأنها أثارت أمام المفتش كرادوك موضوع مارتين. وخرج الدكتور كويمبر من غرفة العجوز كراكنثورب بعد أن فحصه، فتقدّم إليه هارولد وقال بشيء من الجفاء: لماذا شجّعت إيما على إبلاغ المفتش كرادوك بموضوع مارتين يا دكتور كويمبر؟

- لقد سألتني الآنسة إيما النصيحة فنصحتها، وأنا أعتقد أنها أحسنَت صُنعاً.

- أوَتعترف بأنك...؟

حينئذ سمع الجميع صوت العجوز كراكنثورب وهو ينادي لوسي بعد أن وقف بباب غرفته قائلاً: أيتها الفتاة، أنت أيتها الفتاة.

فقالت له لوسي: طوع أمرك يا سيد كراكنثورب.

- ماذا ستقدّمين لنا الليلة في وجبة العشاء؟ أنا أريد

الفطر بثريد الكاري؛ فأنت بارعة في طبخ هذا اللون من الطعام.

– حسناً يا سيد كراكنثورب. لو كان ألكسندر وصاحبه هنا ما استطعت أن أصنع ثريد الكاري لأنهما لا يحبّانه.

– لقد أحسنا صُنعاً بالرحيل، وليتهما لا يعودان!

عادت لوسي إلى المطبخ وراحت تُعدّ الفطر من علبة محفوظة لتصنع منه ثريد الكاري.

* * *

في نفس الليلة عاد الدكتور كويمبر إلى مسكنه مرهقاً بعد أن أمضى بضع ساعات مع حالة وضع انتهت بميلاد توأمين، وما كاد يتراخى في مقعده بجوار الفراش حتى رنّ جرس الهاتف بجواره، فتناول السمّاعة وقال بحدّة: مَن المتحدّث؟

– أنا لوسي إيلزبارو يا دكتور كويمبر، أرجو أن تحضر بسرعة؛ فجميع أفراد الأسرة مصابون بحالة مغص وقيء شديدَين.

فألقى كويمبر بالسمّاعة واندفع إلى سيارته في الطريق إلى بيت آل كراكنثورب.

* * *

بعد ثلاث ساعات من العمل الشاقّ جلس الدكتور كويمبر في المطبخ يشرب قدحاً من الشاي ويقول للوسي التي

كانت خير مساعد له: لقد نجوا جميعاً من الموت، ولكن أريد أن نتحدّث بصراحة قبل إبلاغ الأمر للمفتّش كرادوك. مَن الذي طها الطعام؟

- أنا.

- ومن أي شيء تكوّن؟

- الفطر بمرقة الكاري ولحم الدجاج وحساء الفطر وكبد وبطاطا مشوية.

- وماذا عن الشراب؟

- كان موضوعاً في إناء فخاريّ كبير على المائدة كالمعتاد.

ثم اضطرم وجه لوسي فجأة وقالت: هل تعتقد أن هذه حالة...؟

فأومأ برأسه وقال: حالة تسمّم بلا شك.

- وهل تظن أنني...؟

- لا، لا، أنت فوق جميع الشبهات لأنه ليس لك أية مصلحة في موت أحد أفراد هذه الأسرة، ولكن هل أكلت أنت من هذا الطعام؟

- لقد تذوّقت بعض الكاري قبل تقديمه، ولكنني لم أستطع أن أتناول شيئاً بعد ذلك لأنني كنت فاقدة الشهية.

- هل بقي شيء من الطعام بعد الأكل؟

- لا، لقد غسلت كل شيء ولم يبقَ إلا جزء قليل من ثريد الكاري.

- حسناً، سوف آخذ معي تلك البقية من الكاري لتحليلها قبل اتّخاذ أية خطوات رسمية، وفي الصباح سأتصرّف على ضوء هذا التحليل، وعليك أنت أن تسهري عليهم الليلة وسوف أرسل إليك ممرضة محترفة في الثامنة صباحاً لمساعدتك.

ثم نهض قائلاً بصوت مليء بالعاطفة: أرجوك أن تهتمي بصفة خاصة بإيما؛ فهي لا تزال في مرحلة الشباب وأنا لا أستطيع مجرّد التفكير في أن يحدث لها شيء.

فابتسمت لوسي وقالت: اطمئنّ يا دكتور، سوف أمضي الليل كلّه بجانبها.

* * *

الفصل التاسع عشر

قال المفتش كرادوك بانفعال وحيرة: زرنيخ؟! أتقول زرنيخ؟!

فردّ الدكتور كويمبر قائلاً: نعم، وجدت آثاره في ثريد الكاري.

- إذن فيوجد مَن وضع السمّ لأفراد الأسرة.

- هذا ما يبدو بوضوح.

- ولكنهم أُصيبوا جميعاً بحالة تسمّم.

- أجل، ما عدا لوسي إيلزبارو.

- هذا يثير الاشتباه في أمرها.

فقال الدكتور كويمبر: وما الحافز لها على ارتكاب مثل هذه الجرائم؟

- لا شي أكثر من لوثة عقلية، فكثيراً ما يحدث اختلال عقليّ مفاجئ لبعض الناس.

- أنا كطبيب أشهد أن لوسي إيلزبارو من أعقل وأذكى مَن عرفت، فضلاً عن اتزانها وحسن تقديرها للأمور.

- إذن ما رأيك؟

- رأيي أن واضع السمّ هو أحد أفراد الأسرة.

- ولكنه أكل معهم من الكاري.

- أجل، ولكنه أكل كمّية قليلة جداً لا تضرّ.

فأومأ كرادوك برأسه ثم قال: وبعد ذلك راح يبالغ في الشعور بالألم والرغبة في القيء حتى يبدو كواحد من الذين أكلوا كثيراً.

فلما أومأ الطبيب برأسه قال كرادوك: ولكن يبدو أنه أخطأ في تقدير الكمية اللازمة لقتل أفراد الأسرة جميعاً.

فهزّ الطبيب رأسه وقال: لا، إنه لم يخطئ، بل لقد وضع كمّية تكفي لظهور أعراض التسمّم وبعد ذلك تُتاح له الفرصة ليضع كمّية أخرى لشخص معيّن لتقضي عليه، وهذا ما دفعني إلى إبلاغك بالأمر وإرسال ممرّضة محترفة لتسهر على راحتهم جميعاً.

- وهل أخبرتها بأمر الزرنيخ؟

- طبعاً، وكذلك أخبرت لوسي إيلزبارو، وذلك حتى تكون كل منهما على حذر فلا تغفل لحظة عن أي واحد من المرضى. ولا شك أن هذه الحراسة سوف تُفزع القاتل وتمنعه

من مواصلة ارتكاب جرائمه.

في تلك اللحظة رنّ الجرس، فلما رفع المفتش كرادوك السمّاعة قال للمتحدّث في الطرف الآخر: نعم، أنا المفتش كرادوك.

وبعد أن أنصت قليلاً قال للدكتور كويمبر هامساً: هذه هي الممرضة التي أرسلتها إلى آل كراكنثورب.

ثم عاد يتحدّث في الهاتف: نعم، أنا منصت. ماذا؟ نكسة خطيرة؟! نعم، الدكتور كويمبر معي الآن، أتحبين أن تتحدّثي إليه؟ حسناً.

ثم قدّم السمّاعة إلى الدكتور كويمبر الذي أنصت قليلاً ثم قال للمفتش كرادوك بوجه شاحب: لقد مات ألفريد.

* * *

قالت السيدة كيدار، الخادمة المساعدة العجوز، وهي تعمل في غسل الأواني والأطباق مع لوسي في المطبخ: هذه أحداث رهيبة، وما أسمعه من أقوال هنا وهناك أشدّ رهبة من الأحداث نفسها. أنا لا أتعمّد أن أسترق السمع طبعاً يا عزيزتي لوسي، ولكن ماذا أصنع والأحاديث تصل إلى أذني رغماً عنّي؟ أتعرفين ماذا سمعت؟ لقد سمعت العجوز كراكنثورب يضحك سعيداً عندما بلغه نبأ وفاة ابنه ألفريد! هل تصدقين هذا؟! قال إنه سوف يعيش بعدهم جميعاً، أما سدريك فلم يهتمّ ولم يحزن، ولعله سعيد لأن وفاة ألفريد

سوف تزيد من نصيبه في التركة. ويقال إن هارولد هو قاتل تلك المرأة الأجنبية وإنه تزوجها خارج البلاد وحين حضرت لتطالبه بحقوقها الشرعية خشي الفضيحة فقتلها. نعم، هذا ما يقولونه في هذه النواحي.

فقالت لوسي: يا للفظاعة.

- أجل، وأنا أرجو أن لا تبلغ هذه الأقوال مسامع الآنسة إيما، فهي مرهفة الإحساس ولم تشفَ تماماً من إصابتها بالتسمّم ولا تزال ضعيفة شاحبة الوجه.

في تلك اللحظة رنّ جرس الباب الخارجي فقالت السيدة كيدار: يبدو أنه الدكتور كويمبر.

فقالت لوسي: انتظري أنت هنا وسوف أذهب أنا لأفتح الباب.

حين فتحت لوسي الباب رأت سيدة أنيقة رائعة الجمال في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها وبجوارها سيّارة رولز فاخرة جلس فيها سائق بملابس رسمية. قالت السيدة الأنيقة الجميلة: هل يمكن مقابلة الآنسة إيما كراكنثورب؟

- أنا آسفة، الآنسة إيما مريضة وملازمة للفراش.

- أنا أعرف هذا، ولكن لا بدّ لي من مقابلتها لأمر مهم جداً.

ثم ابتسمت السيدة واستطردت قائلة: أعتقد أنك الآنسة لوسي إيلزبارو. لقد سمعت عنك الشيء الكثير من ابني جيمس

وست صديق ألكسندر إيستلي. أنا السيدة ستودارت وست.

- آه! أهلاً وسهلاً.

- أعرف أن الآنسة إيما مريضة، ولكن لا بدّ لي من مقابلتها.

لم يسَع لوسي إلا أن تسمح للسيدة بالدخول، ثم أسرعت إلى إيما فأبلغتها نبأ حضورها، فقالت إيما بدهشة: دعيها تتفضل بالدخول. تُرى لماذا جاءت؟ وماذا حدث؟

قالت السيدة وست بعد أن تبادلت التحية مع إيما ولاحظت علامات القلق الشديد على وجهها: اطمئني يا آنسة إيما، ألكسندر وجيمس بخير، وقد سمعت منهما أشياء كثيرة جعلتني أسرع بالحضور لأذكر لكم بعض الحقائق التي لا تعرفونها.

رفعت إيما حاجبَيها بتساؤل فقالت السيدة وست: يقال إنكم تعتقدون أن المرأة القتيلة التي وُجدت جثّتها في التابوت الحجريّ هي لسيدة تُدعى... تُدعى مارتين، أليس كذلك؟

- بلى، هذا ما انتهى إليه الرأي أخيراً.

- لماذا؟ هل وجدتم بين ملابسها ما يدلّ على هذا؟

- لا، ولكنني تلقّيت منها رسالة.

- تلقيت منها رسالة؟!

- نعم، قالت فيها إنها وصلت إلى إنكلترا وتريد

زيارتنا للتعرّف علينا، وقد رددت عليها مرحّبة ولكنها عادت فأرسلت برقية تعتذر فيها عن الزيارة لأنها مضطرة إلى العودة إلى فرنسا بسرعة. وقد عثر ألكسندر وجيمس على جزء من مظروف الرسالة التي أرسلتها إليها، وهذا يدلّ على أنها جاءت إلى هنا. ولكنني لا أدري لماذا...

فأسرعت السيدة وست تقول: نعم، لماذا أهتمّ بأمور كهذه، أليس كذلك؟ ولكنك سوف تعذرينني إذا علمت أنني... أنني مارتين التي خطبها أخوك إدموند، مارتين ديبوا.

حملقت إيما إلى وجه ضيفتها ثم تمتمت بذهول قائلة: أنت... أنت مارتين؟!

فأومأت الأخرى برأسها قائلة: نعم. هذا يدهشك طبعاً، ولكنها الحقيقة. لقد التقيت بأخيك إدموند في الأيام الأولى من الحرب، وكان قد سقط جريحاً فأخفيناه في منزلنا حتى لا يقع في أيدي الألمان، ثم أحببته وأحبّني وكنا ننوي الزواج، ولكنه قُتل في معركة دنكرك بعد أن شُفي من جراحه. لن أذكر تفصيلات تلك المرحلة وإنما يكفي أن أقول إنني اشتركت في فرقة المقاومة في أثناء الاحتلال النازيّ، ثم تعرّفت بزوجي الحالي في تلك الفترة، وكان يعمل طيّاراً وضابط اتصال بين الحلفاء وفرق المقاومة، وحين انتهت الحرب تزوجنا وورث اللقب عن أبيه بعد وفاته. وقد خطر لي أكثر من مرّة أن أرسل إليك وأخبرك بهذه الحقائق، ولكنني رأيت أن لا أثير أشجانكم بإعادة الماضي، وقد سُررت بعد ذلك كثيراً حين علمت أن ابني جيمس هو صديق وزميل ألكسندر، ابن أخت إدموند.

إن ألكسندر شديد الشبه بخاله إدموند كما تلاحظين.

ثم انحنت السيدة وست ووضعت يدها على يد إيما وقالت: ولكن عندما سمعت من ابني عن اعتقادكم بأن المرأة القتيلة هي مارتين، خطيبة أخيكم إدموند السابقة، رأيت أن من واجبي الإسراع لإبلاغكم بالحقيقة.

فقالت إيما بذهول: أنا في حيرة شديدة! هل أنت التي أرسلت إليّ ذلك الخطاب؟

- لا، مطلقاً، أنا لم أرسل أية خطابات.

- هذا يعني أن التي أرسلَت الخطاب امرأة أرادت أن تنتحل شخصية مارتين بعد أن علمت بمسألة خطبتها السابقة لإدموند.

فقالت السيدة وست: هذا هو التفسير الوحيد، ولا شك أنها كانت تستهدف الحصول على نصيب إدموند من الثروة.

- إذن لا بدّ من إبلاغ الأمر للمفتّش كرادوك.

ثم ابتسمت وقالت للسيدة وست: كم أنا سعيدة لأنني علمت أنك كنت خطيبة أخي إدموند السابقة.

- وأنا سعيدة بمعرفتك يا آنسة إيما. لقد حدّثني إدموند عنك كثيراً.

وبعد انصراف السيدة وست تراخت إيما في مقعدها وقالت في نفسها بارتياح: إذن هذا يعني أن المرأة القتيلة لا

علاقة لها بأسرتنا، وهذا وحده يرفع عن كاهلنا عبئاً كبيراً.

* * *

عاد هارولد إلى بيته مرهَقاً مكتئب الملامح مشغول الفكر بالكارثة المالية التي توشك أن تؤدّي إلى إفلاسه في أية لحظة، وقد وجد زوجته السيدة أليس كراكنثورب تستعدّ للخروج إلى حفلة ساهرة، فنظر إليها بعد أن تبادل معها كلمات قليلة ثم قال في نفسه: لماذا تزوجتُ هذه الفتاة الهزيلة؟ لقد ظننت أن مكانة أسرتها سوف تدعم مركزي في الأسواق المالية، ولكنني وجدت نفسي أنفق معظم دخلي على مظاهرها وحفلاتها ورحلاتها...

ثم عاد يفكر في وضعه المالي السيئ ويقول لنفسه: لقد مات ألفريد المسكين في حين كان الأفضل أن يموت ذلك العجوز الحارس على الثروة. لو أنه عاش فترة طويلة لانتهى أمرنا جميعاً إلى التسوّل.

قالت له زوجته بعدم اهتمام: لقد جاء طرد صغير باسمك، وهو على المائدة في البهو. ألم ترَه؟

فأومأ برأسه وقال: بلى، رأيته ولكنني لم أفتحه. لقد ذكّرتِني.

ثم استدعى أحد الخدم فطلب منه إحضار الطرد الصغير، وحين جاءه به فتحه فوجد علبة صغيرة تحتوي على الأقراص المنوِّمة التي اعتاد أن يتناولها قُبَيل النوم في الأسابيع الأخيرة، وكانت مع الطرد رسالة صغيرة مكتوبة على الآلة

الكاتبة مؤدّاها أن تعليمات الدكتور كويمبر تقتضي تناول قرصين قبل النوم لمدّة ثلاثة أيام. فقطب هارولد جبينه وقال: عجباً! لقد طلب منّي الدكتور كويمبر أن لا أتناول المزيد من هذه الأقراص بعد أن تحسّنت حالتي!

فهزّت السيدة أليس كتفَيها وقالت وهي تهمّ بالانصراف: من المرجح أنك أخطأت الفهم، ولا شك أنه طلب منك أن لا تنسى تناول المزيد منها لأن حالتك النفسية في هذه الأيام ليست كما ينبغي.

فقال هارولد بعد أن فرغ من خلع ملابسه وارتداء ملابس النوم: نعم يا عزيزتي، هذا هو المرجَّح.

ثم تناول قرصَين ابتلعهما بجرعة كبيرة من الماء.

* * *

الفصل العشرون

قال المفتش كرادوك باكتئاب وهو جالس مع الآنسة ماربل في غرفة الاستقبال في منزلها الصغير: لا أعتقد أنه يوجد إنسان فشل في شيء كما فشلت أنا في كشف غوامض هذه الجرائم.

فقالت الآنسة ماربل مواسية له: لا، لقد بذلت كل ما في وسعك من جهد يا عزيزي كرادوك.

- حقاً؟ وماذا كانت النتيجة؟ تسمّم أفراد أسرة كاملة وموت اثنين منهما، ألفريد أولاً ثم هارولد.

فقالت جين ماربل مفكرة: أجل، لقد مات هارولد متسمّماً بأقراص منوّمة.

- هذه وسيلة شيطانية، وقد أنكر الدكتور كويمبر أية علاقة له بتلك الأقراص، ولكن الثابت لنا أن العلبة مرسَلة من بيت آل كراكنثورب.

- أهكذا؟

- نعم، وهي علبة فارغة كانت لدى الآنسة إيما، ولا شك أن القاتل سرقها واستغلّها لأغراضه.

- وأي نوع من السمّ كانت تحتويه تلك الأقراص الخادعة؟

- سمّ الأكوتين. لست أدري ماذا سيحدث بعد ذلك، لقد استدعانا رئيس شرطة تلك المنطقة من سكتلنديارد لمعاونته في كشف غوامض جريمة واحدة، فماذا كانت النتيجة؟ بدلاً من أن نكشف غموضها إذا بالجرائم تتوالى ونحن مكتوفو الأيدي.

ثم ابتسم بشحوب وأردف قائلاً: أنا آسف يا آنسة ماربل لأنني ألقي عليك بمتاعبي.

- لا، لا داعي للأسف.

- أنا لا أعرف مَن الذي قتل ألفريد بالسمّ، ولا أعرف مَن الذي أرسل الأقراص السامّة لهارولد، ولا أعرف مَن تلك المرأة القتيلة بعد أن ثبت أنها ليست مارتين، ولا أعرف مَن الذي قتلها، ولا أعرف لماذا جاءت إلى مزرعة آل كراكنثورب، ولا أعرف لماذا وُضعت في المزرعة تلك القصاصة من المظروف المكتوب بخط يد إيما.

فقالت جين ماربل: ألا يمكن أن تكون آنا سترافيسكي راقصة الباليه؟

- لا يمكن؛ فقد أرسلت آنا بطاقة من جامايكا إلى

إحدى زميلاتها في فرقة الباليه.

- أيّ إنسان يستطيع أن يدبّر طريقة يمكنه بها إرسال مثل تلك البطاقة باسم آنا سترافيسكي ليثبت أنها لا تزال على قيد الحياة كذباً، ولا سيما أن أوصاف القتيلة تنطبق إلى حد كبير على آنا سترافيسكي هذه.

هزّ كرادوك كتفيه وقال: ولكن ما علاقة تلك الراقصة بآل كراكنثورب؟ ولماذا جاءت؟ ولماذا قُتلت؟

غمغمت جين ماربل قائلة: مَن يدري؟

فعاد كرادوك يقول: وتوجد الرسالة التي تلقّتها إيما باسم مارتين كراكنثورب. لقد ثبت أن مارتين الحقيقية هي السيدة وست، إذن فمَن تكون صاحبة الرسالة؟ ولماذا أرسلتها؟ ولماذا عدلت في آخر لحظة عن الزيارة؟ وأخيراً لماذا جاءت لكي تُقتَل في المزرعة؟

فقالت الآنسة ماربل: لا تنسَ أنها لم تأتِ إلى المزرعة وهي على قيد الحياة وإنما جيء بها بعد مقتلها.

فنظر كرادوك إليها بذهول وقال: ماذا تعنين؟

- هل نسيت أنها قُتلت في القطار ثم أُلقِيت من نافذة القطار على الجسر القائم في قلب المزرعة، ثم أُخفيت جثّتها بعد ذلك في التابوت الحجري؟

- ولكن المفتش باكون فتّش المكان والملابس تفتيشاً دقيقاً فلم يعثر على شيء، فكيف وصلت تلك القصاصة من

المظروف إلى مخزن سخّان المياه؟

قالت الآنسة ماربل: لا شك أنها وُضعت هناك عن عمد لكي يعثر عليها أحد، فقد كان من المعروف أن ألكسندر وصاحبه يبحثان عن بعض الأدلة، أي أنّ الذي دسّ تلك القصاصة كان متأكداً من أن أحدهما سوف يعثر عليها.

- ولكن لماذا؟ لماذا؟ أنا أكاد أفقد عقلي!

- يبدو لي أن الأمر أبسط مما تظن يا سيد كرادوك.

فنظر إليها بذهول وقال: ماذا تقولين؟! هل تعرفين مَن تكون المرأة القتيلة مثلاً؟

فتنهدت الآنسة ماربل وقالت: أنا أعرف من ناحية، ولا أعرف من ناحية أخرى.

فقال كرادوك وهو ينهض للانصراف: وأنا لا أكاد أفهم شيئاً على الإطلاق!

عند الباب توقّف وقال: هذه عزيزتك لوسي آتية لزيارتك. إن جمالها وانتعاشها ونجاحها في الحياة فوق ما أطيق في هذه الآونة التي أشعر فيها بالفشل التام. طاب مساؤك يا آنسة ماربل.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

قالت لوسي بعد أن تراخت في مجلسها وتبادلت حديثاً عادياً مع الآنسة جين ماربل: أتعرفين أنني أعتقد أن نصوص الوصية التي كتبها عميد أسرة كراكنثورب هي السبب في كل هذه المآسي يا آنسة جين؟

فتنهّدت الآنسة ماربل وقالت: هذا محتمَل جداً، فالإنسان يرتكب الجريمة من أجل المال أحياناً، والطمع في المال الكثير هو شرّ البلايا.

ثم أردفت قائلة وكأنها تحدّث نفسها: قد يرتكب إنسان ما جريمة للنجاة من مأزق خطير أو لتحقيق هدف معيّن، ولكن نجاحه في الإفلات من العقاب يغريه بارتكاب جرائم أخرى تحقيقاً لأهداف أخرى مثل الطمع في المزيد من المال. هل فهمت؟

- نعم، ولكن ما علاقة هذا كله بتلك الأحداث؟

- علاقتها وثيقة لو أننا فكرنا بطريقة منطقية، وهي أن لا نترك شخصاً ما، أي شخص، له علاقة بهذه الأحداث دون أن

نحلّل موقفه ونبحث عن ماضيه ونضعه في دائرة الشبهات.

- حتى لو كنت أنا ذلك الشخص يا آنسة ماربل؟

- حتى لو كنت أنت يا لوسي.

فابتسمت لوسي وقالت: ولكن ما هي الأهداف التي أريد أن أحقّقها من هذه الجرائم؟

- الإجابة على هذا السؤال هي التي تُبعد عنك الشبهات.

فقالت لوسي: ولكن الإجابة عن هذا السؤال نفسه تركز الشبهات حول الباقين من أفراد أسرة كراكنثورب، سدريك وبريان إيستلي وإيما.

- إيما؟ لا؛ لأنها ليست رجلاً طويلاً أسمر اللون أسود الشعر. لا يا عزيزتي، إيما ليست لها علاقة بتلك الجرائم.

- وكذلك بريان إيستلي؛ فماذا يستفيد من القضاء على أفراد تلك الأسرة إذا كان ابنه ألكسندر هو الذي سوف يرث التركة كلّها؟ أعني أنه هو شخصياً لن يستفيد شيئاً.

فابتسمت العجوز ماربل وقالت: ولكنه يمكن أن يرثها في حالة وفاة ابنه ألكسندر.

فشهقت لوسي وقالت: أتعنين أن من الممكن أن يقتل الأب ابنه لكي...؟!

- هذا احتمال بعيد ولكنه غير مستحيل؛ فقد حدثت

جرائم كثيرة من هذا النوع. حسناً، لا داعي للقلق، إن صديقتي السيدة ماكلودي سوف تحضر غداً من سيلان، فقد أرسلت إليها برقية منذ ثلاثة أيام أطالبها فيها بالحضور لتتعرّف على القاتل، ولا شك أننا سنعرف النتيجة في أقرب فرصة بعد وصولها.

وفجأة ابتسمت الآنسة ماربل بمكر وقالت للوسي: والآن صارحيني، مَن مِن الاثنين تتمنّين أن لا يكون القاتل؟

- ماذا تعنين يا آنسة ماربل؟

- أعني أيهما تتمنّين أن لا يكون القاتل، سدريك أم بريان إيستلي أم...؟

فضحكت لوسي وقالت وهي تنهض للانصراف: أتمنّى أن لا يكون القاتل هو المفتش كرادوك.

وعندئذٍ أرسلت جين ماربل ضحكة عالية لأول مرّة منذ تلك الأحداث.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

قالت الآنسة ماربل لصديقتها السيدة إليزابيث ماكلودي التي كانت قد وصلت من سيلان إلى إنكلترا: هل فهمت يا إليزابيث ماذا أريد منك أن تفعلي؟

فقالت السيدة ماكلودي: نعم، فهمت يا عزيزتي، ولكن الأمر يبدو لي غريباً.

- لا، ليس فيه غرابة على الإطلاق.

- ولكن هذا هو رأيي، إذ كيف أطلب من أصحاب البيت أن يمسحوا لي بدخول دورة المياه بمجرّد وصولي؟

فابتسمت الآنسة ماربل وقالت: إن الجوّ بارد جداً في هذه الأيام كما تعلمين، والإنسان يأكل شيئاً لا يتّفق مع معدته أحياناً فيضطرب جهازه الهضمي ويُضطرّ إلى الالتجاء إلى دورة المياه حتى لو كان ضيفاً.

فقالت السيدة ماكلودي: لو أنني أعرف الهدف من هذه الخطوة.

- سوف تعرفين هذا الهدف فيما بعد.

فقالت السيدة ماكلودي باعتراض: يا لك من كتومة يا آنسة ماربل! لقد جعلتِني أعود من سيلان قبل أن...

فقاطعتها جين ماربل قائلة: أنا آسفة يا إليزابيث، ولكنني اضطُررت إلى هذا؛ فمن المحتمل أن تقع جريمة أخرى إذا لم نُسرع بالقبض على القاتل. حقاً هم على حذر، كما أن رجال المباحث قد اتخذوا جميع الاحتياطات اللازمة لضمان سلامتهم، ولكن من المحتمل أن يكون القاتل أبرع منهم جميعاً، ولهذا فعليك أن تؤدّي واجبك يا إليزابيث. الواجب يناديك وينادِيني معك.

فقالت السيدة ماكلودي: وعلينا أن نلبّي نداء الواجب يا عزيزتي جين.

- هذا ما كنت أنتظره منك. ها هي سيارة الأجرة قد وصلت، هلمّي لنذهب.

* * *

قالت إيما وهي تنظر من النافذة إلى سيارة الأجرة التي وقفت أمام الباب: تُرى مَن القادم؟ آه! هذه عمّة لوسي.

فقال سدريك بضيق: يا لها من فضولية، لماذا جاءت الآن؟

كان مسترخياً في مقعد مريح واضعاً قدميه على مقعد آخر، ثم أردف قائلاً: قولي لها بأنه لا يوجد أحد بالبيت.

- كيف أقول لها هذا بنفسي؟ أم لعلك تريد أن أطلب من لوسي أن تقول لها هذا؟

- لا، لم أفكر في هذا. ألا توجد هنا إحدى الخادمات العجائز؟

ولكن إحدى الخادمات العجائز، وهي السيدة هارت، كانت قد فتحت الباب وسمحت للآنسة ماربل بالدخول، فأقبلت الآنسة ماربل بنشاطها المعتاد وعباراتها الرقيقة ومن ورائها صديقتها السيدة ماكلودي، ثم قالت جين وهي تصافح إيما: أرجو أن لا أكون قد تطفّلت عليكم بالحضور هكذا دون موعد سابق، ولكن عذري أنني سأسافر بعد غد في رحلة قصيرة ولم أحتمل أن أذهب دون أن أودّعكم وأشكر لكم عطفكم على عزيزتي لوسي. آه، لقد نسيت. هل تسمحون لي بأن أقدّم لكم صديقتي السيدة ماكلودي؟

فقالت إيما وهي تصافح السيدة ماكلودي: كيف حالك يا سيدة ماكلودي؟ لقد تشرفنا بزيارتك.

فردّت السيدة ماكلودي تحيّتها وهي تمعن النظر إلى وجهها ثم إلى وجه سدريك الذي وقف يحيّيها، وفي تلك اللحظة دخلت لوسي فقالت بدهشة مصطنعة: آه، أهذه أنت يا عمتي جين؟ لم أكن أعلم!

- لقد جئت لأودّع الآنسة إيما التي كانت مثالاً للعطف والشفقة في معاملتك يا لوسي.

فقالت إيما: إن لوسي هي التي شملتنا بعطفها.

وقال سدريك: أجل، إنها لا تستريح لحظة من العمل في هذه الأيام، ولا سيّما بعد إصابتنا جميعاً.

فقالت الآنسة جين ماربل: أجل، كم كان أسفي شديداً حينما سمعت بمرضكم. إن التسمّم بالطعام الفاسد شيء خطير. أظن أن السبب هو الفطر، أليس كذلك؟

فقالت إيما: السبب لا يزال مجهولاً.

وقال سدريك: أراهن أنك سمعت الكثير من الشائعات عن هذا الموضوع يا آنسة...

- ماربل.

- يا آنسة ماربل، فالتسمّم بالزرنيخ من أكبر مصادر الشائعات.

فقالت إيما لسدريك بعتاب: سدريك، لا تنسَ أن المفتش كرادوك...

- نعم، فالجميع يعرفون الحقيقة الآن، ولا شك أن الآنسة ماربل وصديقتها تعرفان أيضاً.

ثم نظر إلى السيدة ماكلودي متسائلاً فقالت هذه: أنا شخصياً لم أصل من الخارج إلى إنكلترا إلا أمس.

- إذن لم تشتركي في نشر الشائعات عنا. لقد كان تسمّماً بالزرنيخ في الكاري، هذه هي الحقيقة، وأراهن أن عمّة لوسي تعرفها.

قالت إيما للآنسة ماربل: أرجو أن لا تهتمّي بحديث سدريك؛ فهو يهوى إحراج الناس في بعض الأحيان.

وفي تلك اللحظة فُتح باب غرفة السيد كراكنثورب وظهر فيه العجوز يدق بعصاه الأرض ويقول: أين الشاي؟ لماذا لم تعدّوه؟

ثم أشار إلى لوسي وأردف قائلاً: أنت أيتها الفتاة، لماذا لم تحضري لي الشاي؟

- إنه مُعَدّ يا سيد كراكنثورب، وسوف أقدّمه بعد تجهيز المائدة.

ثم غادرت لوسي الردهة، وقامت إيما بتقديم ضيفتَيها إلى أبيها الذي قال: أحب أن تقدَّم الوجبات في مواعيدها لأن احترام المواعيد والاقتصاد في إنفاق المال هما شعاري في الحياة.

قالت الآنسة ماربل: هذا عظيم، ولا سيّما في هذه الأيام التي ارتفعت فيها الضرائب.

فلوى العجوز وجهه وقال متهكماً: الضرائب؟ إنهم مجموعة من اللصوص هؤلاء الذين يفرضون علينا تلك الضرائب الباهظة، وسوف تزداد الحالة سوءاً.

ثم عادت لوسي حاملة صينية عليها أدوات الشاي يتبعها بريان إيستلي حاملاً صينية أخرى عليها شطائر وخبز وزبد وكعك، فقال العجوز كراكنثورب وهو يرمق الصينية

الأخيرة: ما هذا؟ حلوى وفطائر وشطائر؟ أتقيمون حفلة اليوم؟ لم يخبرني أحد بذلك.

فاحمرّ وجه إيما وهي تقول: إن الدكتور كويمبر سوف يحضر يا أبي، وهذا يوم عيد ميلاده، وقد رأيت أن...

فعاد العجوز يلوي أنفه ويقول: عيد ميلاده؟ وما شأننا نحن بعيد ميلاده؟ إن الأطفال فقط هم الذين يفرحون بالاحتفال بأعياد ميلادهم. أنا لا أحتفل بأعياد ميلادي ولا أحب أن يحتفل أحد بها.

فقال سدريك: أحسنت يا أبي، لأنك في هذه الحالة توفّر ثمن الشموع التي توضع على الكعكة.

فقال له أبوه: كفى تهريجاً أيها الغلام.

في تلك اللحظة اقتربت السيدة ماكلودي من إيما بناء على إشارة خفية من الآنسة جين ماربل، فهمست لها قائلة: عزيزتي الآنسة كراكنثورب، هل... هل تسمحين لي بالصعود إلى... إلى دورة المياه؟

فقالت إيما فوراً: طبعاً، طبعاً.

وقالت لوسي: سوف أصحبك إليها يا سيدة ماكلودي.

حين غادرت لوسي والسيدة ماكلودي الغرفة قالت الآنسة جين ماربل بلهجة اعتذار: إن الجوّ بارد جداً اليوم.

وكان الجميع قد سمعوا صوت سيارة تقف أمام البيت، ومن ثَم قالت إيما: يبدو أن الدكتور كويمبر قد وصل.

ثم دخل الدكتور كويمبر يفرك يديه من فرط الشعور بالبرد ويقول بعد أن حيّا الجميع: سوف تتساقط الثلوج، هذا هو رأيي. كيف حالك يا آنسة إيما؟ آه، ما كل هذا؟ أهي حفلة؟

فقالت إيما: حفلة عيد ميلاد. ألا تذكر؟ لقد أخبرتني منذ ثلاثة أيام أن هذا اليوم يوافق عيد ميلادك، وقد ساعدتني لوسي في إعداد كل شيء.

فقال كويمبر بدهشة ممتزجة بالسرور: لم أكن أتوقّع كل هذا الكرم! أنا لم أحتفل بعيد ميلادي منذ سنوات طويلة. شكراً جزيلاً يا آنسة إيما.

وحين نظر متسائلاً إلى الآنسة ماربل قالت له إيما: هل تعرف الآنسة ماربل يا دكتور؟

فأسرعت جين ماربل تقول: نعم، لقد رأيت الدكتور كويمبر هنا في زيارتي السابقة، كما أنه جاء لزيارتي عندما أُصبت بنزلة شديدة وكان كريماً جداً معي.

فقال كويمبر: أرجو أن تكوني في أحسن حال الآن.

فلما أكدت له أنها في أحسن حال قال السيد كراكنثورب: أنت لم تحضر لزيارتي منذ يومين يا كويمبر. ألا تخشى أن أموت دون...؟

فقاطعه كويمبر قائلاً: نعم، أنا لا أخشى أن تموت لأنك لن تموت إلا بعد سنوات طويلة يا سيد كراكنثورب.

- وهذا ما أنوي أن أفعله. هلمّ لنأكل فأنا جائع جداً.

قالت الآنسة ماربل: تفضّلوا، لا داعي لأن تنتظروا صديقتي فمن المرجَّح أنها لن تستطيع أن تأكل شيئاً.

جلسوا حول المائدة، ثم أخذت الآنسة ماربل من الآنسة إيما شطيرة وقالت وهي تتأمّلها: أهي شطيرة؟

فقال بريان إيستلي: شطيرة من لحم السمك أعددتها بنفسي.

فأرسل العجوز كراكنثورب ضحكة متحشرجة وقال: إنه لحم سمك مسمَّم، هذه هي العادة. كُليها على مسؤوليتك يا آنسة ماربل.

هتفت إيما قائلة لأبيها بعتاب قائلة: أبي!

ولكن العجوز عاد يقول للآنسة ماربل: عليك أن تكوني على حذر عندما تأكلين شيئاً في هذا البيت؛ فقد مات اثنان من أولادي مسمّمَين كالذباب، فمَن هو القاتل؟ هذا ما أريد أن أعرفه.

قال سدريك وهو يقدّم إلى الآنسة ماربل شطيرة أخرى من لحم السمك: لا تدَعيه يُفقدك شهيّتك، فقليل من الزرنيخ يصلح المعدة.

فقال أبوه: كُلْ شطيرة منها أيها الغلام.

فقال سدريك: هل تريد أن تجعلني ذوّاقة رسمياً؟ ها هي واحدة.

ثم دسّ شطيرة بأكملها في فمه، فضحكت الآنسة ماربل برفق وهي تقضم من شطيرتها، وفجأة شعرت بغُصّة في حلقها، أو لعلها تظاهرت بذلك، ثم قالت وهي تلهث: يبدو أن شوكة من السمك انغرزت في حلقي.

فأسرع الدكتور كويمبر إليها ودفعها نحو النافذة وجعلها تفتح فمها، ثم أخرج من جيبه كيساً صغيراً أخذ منه ملقطاً وراح ينظر إلى حلقها ببراعة الطبيب وهو محنيّ فوقها. وفي تلك اللحظة عادت السيدة ماكلودي إلى الردهة تتبعها لوسي، وما كادت السيدة ماكلودي ترى المنظر الماثل أمامها، منظر الآنسة ماربل وعنقها بين يدي الدكتور كويمبر المحنيّ فوقها حتى صاحت قائلة: إنه هو، هو بعينه... الرجل الذي رأيته في القطار!

وبسرعة بالغة تخلّصت الآنسة ماربل من يدَي كويمبر وهرعت إلى صديقتها قائلة: كنت واثقة أنك ستتعرّفين عليه يا إليزابيث. لا، لا تقولي شيئاً آخر الآن.

ثم استدارت نحو الدكتور كويمبر وقالت له بلهجة المنتصر: أنت لم تكن تعرف يا دكتور كويمبر أن شخصاً قد رآك وأنت تخنق تلك المرأة في القطار، ولكن صديقتي هذه رأتك بمحض المصادفة. رأتك، أتفهم؟ رأتك بعينَيها حيث كانت في القطار الموازي لقطارك.

فصاح الدكتور كويمبر وهو يتقدّم نحو السيدة ماكلودي: ما هذا بالله عليك؟

ولكن الآنسة ماربل اعترضت طريقه قائلة: نعم، رأتك وتعرّفت عليك الآن، وسوف تُقسم على هذا في المحكمة.

فعاد كويمبر يصيح وهو يتقدّم نحو الآنسة ماربل متوعداً تلك المرّة: أيتها الشيطانة العجوز!

ولكن سدريك أسرع إليه وأمسك به قائلاً: إذن فأنت هو القاتل؟ لقد كنت أشعر بالنفور منك دائماً، وإن لم أدرِ لماذا، ولكنني لم أشكّ فيك لحظة.

عندئذ دخل المفتشان باكون وكرادوك، وقال باكون لكويمبر: يجب أن أحذّرك بأن أية أقوال ستُدلي بها سوف تسجَّل عليك الآن.

فصاح كويمبر قائلاً: تباً لكم جميعاً! هل يوجد أحد يمكن أن يصدّق هاتين العجوزين المخبولتين؟

قالت الآنسة ماربل: لقد وصفَت السيدة ماكلودي لرجال الشرطة ما رأته في ذلك اليوم، العشرين من كانون الأول (ديسمبر)، ووصفت القاتل بدقّة.

فعاد كويمبر يقول ساخراً: ولماذا أقتل امرأة غريبة عنّي؟

فقالت جين ماربل ببساطة: إنها ليست غريبة عنك يا دكتور كويمبر، إنها زوجتك.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

قالت الآنسة ماربل حين عادت إلى بيتها ومعها السيدة ماكلودي ولوسي والمفتش كرادوك: أرأيتم؟ لقد كان الأمر بسيطاً جداً، وهو لم يكن أول رجل يقتل زوجته.

وحين رأت نظرات التساؤل في أعين الجميع استطردت قائلة: عندما أخبرني المفتش كرادوك بأمر تلك الراقصة، راقصة الباليه آنا سترافيسكي التي اختفت من فرقتها في ذلك التاريخ والتي قيل إنها كانت زوجة لرجل إنكليزي انفصلت عنه دون طلاق، أرسلتُ مَن يتحرّى عنها وعن زوجها. ولم أعلم أنها كانت زوجة كويمبر إلا منذ يومين فقط، وهكذا ازدادت شكوكي في أمره. وكما علمتم من اعترافاته أنه أراد أن يتزوّج فتاة مرشّحة لأن ترث ثروة كبيرة، فوقع اختياره على إيما حين رأى ميلها إليه، ولكن زوجته كانت عقبة في سبيل إتمام هذا الزواج، ولم يكن من المنتظَر أن تسمح له بتطليقها، كما أنه لم يجرؤ أن يتمم زواجه بإيما كي لا يرتكب جريمة تعدّد الزوجات ولأنه من الممكن أن يصبح هذا الزواج باطلاً في أية لحظة.

ولما كان رجلاً متهوّراً متحجّر العواطف فقد قرّر أن يتخلّص من زوجته، ولا شك أن تدبيره في ارتكاب الجريمة بالقطار ثم إخفاء الجثة في التابوت الحجريّ يدل على مدى ذكائه الخارق. لقد أراد أن يجعل للجريمة علاقة بآل كراكنثورب في حالة كشف الجثة، ولهذا السبب كان قد أرسل خطاباً إلى إيما منتحلاً شخصية مارتين خطيبة إدموند، وكان قد عرف بأمرها من إيما بطبيعة الحال. ولما جاء الوقت المناسب شجّع إيما على تقديم الخطاب إلى رجل الشرطة لأنه أراد أن يخدع الجميع ويجعلهم يظنون أن القتيلة هي المدعوّة مارتين. ولا شك أنه سمع أنه توجد تحرّيات عن اختفاء آنا سترافيسكي فقرّر أن يضلل العدالة فدبّر أمر إرسال بطاقة من جامايكا باسم آنا سترافيسكي إلى إحدى زميلاتها في فرقة الباليه حتى يوهم الجميع أنها لا تزال على قيد الحياة.

وصمتت جين ماربل برهة قبل أن تستطرد قائلة: وقد كان من السهل عليه أن يدبّر أمر لقائه بزوجته في لندن ويوهمها أنه يريد أن يصالحها وأنه يرجو أن تصحبه إلى أسرته للتعارف، ونحن نعرف ما حدث بعد ذلك. الواقع أنه رجل شديد الجشع لأنه حين فكر في الضرائب المرتفعة التي ستمتصّ جانباً كبيراً من نصيب إيما في الثروة رأى أن يقلّل عدد الورثة إلى أدنى حد ممكن، ولم يكن يهمّه أن يقتل أي عدد آخر من الناس ما دام قد ارتكب أول جريمة قتل، ولعله كان قد قرّر هذا قبل أن يقرّر قتل زوجته! وهكذا أشاع أنه يوجد مَن يريد قتل العجوز كراكنثورب عندما أصيب هذا بمغص عاديّ في حفلة عيد الميلاد. لقد تصرّف بطريقة توهم الجميع بأن العجوز أصيب

بحالة تسمّم، وأخيراً وضع سمّ الزرنيخ في طعام الأسرة، وضع كمّية قليلة لا تقتل أحداً لأنه لم يكن يريد أن يموت العجوز كراكنثورب قبل أولاده.

وحينئذ قال المفتش كرادوك: وكيف أمكنه أن يضع الزرنيخ في الكاري وهو لم يكن موجوداً في البيت في ذلك اليوم؟

فأومأت جين ماربل برأسها وقالت: أولاً هو لم يضَع الزرنيخ في الكاري بل وضعه في إناء الشراب الذي يوضع عادة على المائدة، ولما أخذ الجزء الباقي من الكاري بحجّة تحليله في معمله وضع كمّية قليلة من الزرنيخ فيه ليوهم الجميع أن الزرنيخ وُضع في الكاري حقاً. وبعد ذلك كان من السهل عليه أن يقتل ألفريد في أثناء إشرافه على علاجه وأن يرسل الحبوب المنوّمة المزيفة المليئة بالسمّ إلى هارولد، وذلك بعد أن أبعد الشبهة عن نفسه حين قال له إنه لم يَعُد في حاجة إليها. كل تصرفات ذلك الرجل تدل على الجرأة والشرّ والقسوة والجشع، وكم يؤسفني أن عقوبة الإعدام قد أُلغيت في هذه البلاد لأنه إذا كان يوجد مَن يستحقّ الإعدام فعلاً فهو الدكتور كويمبر.

فقال كرادوك متنهداً: الواقع أن طريقتك في جعل السيدة ماكلودي تتعرّف عليه بارعة جداً.

فابتسمت الآنسة ماربل وقالت: أجل، كنت واثقة من أنها ستتعرّف عليه من ظهره حين تراه في نفس الوضع الذي رأته فيه وهو يقتل زوجته.

قالت السيدة ماكلودي: أجل، كان المنظر متشابهاً تماماً مما جعلني أهتف قائلة بأنه هو بعينه.

ثم ابتسمت وقالت: لكني كدت أقول إنني لم أرَ وجهه وقت الحادثة.

فأومأت الآنسة ماربل برأسها وقالت: لو قلتِ ذلك لفسدَت الخطة كلها. لقد ظن كويمبر أنك رأيت وجهه، ولو أدرك أنك رأيته من ظهره فقط لتمادى في الإنكار.

قال كرادوك أخيراً: ولكننا نريد نهاية سعيدة لكل هذه الأحداث يا آنسة ماربل.

فأومأت ماربل برأسها وقالت وهي تنظر إلى لوسي: أي الرجلَين تنوين أن تتزوجي يا لوسي، سدريك أم بريان إيستلي؟

فقالت لوسي: لا هذا ولا ذاك.

ثم نظرت إلى كرادوك وقالت باسمة: أريد أن أتزوج شاباً وسيماً.

أما الآنسة ماربل فقد ابتسمت ابتسامة عريضة حين رأت المفتش كرادوك يُطرِق خجلاً وابتهاجاً.

* * *

(تمت)